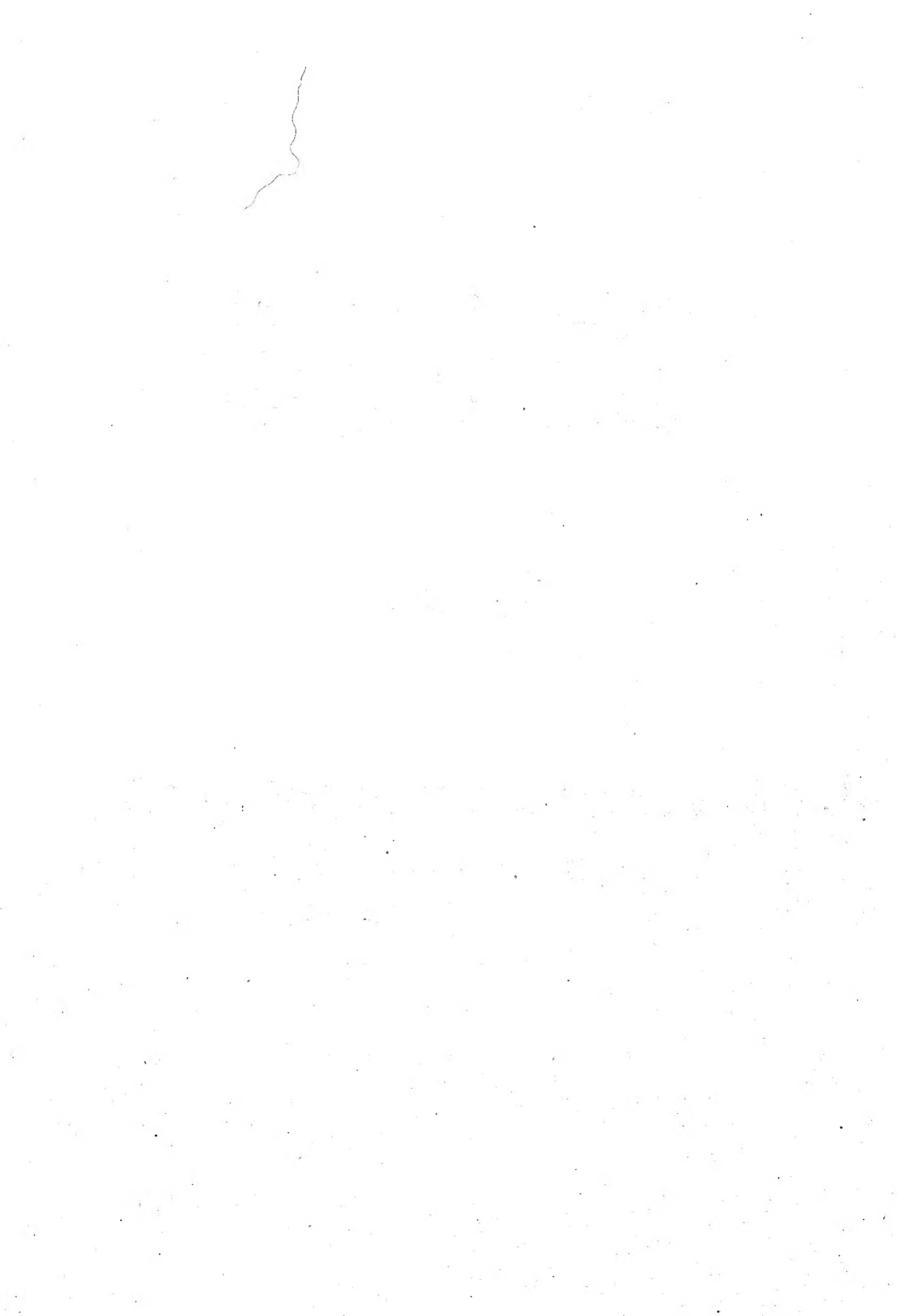
البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون



مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الرابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

[أول الجزء الرابع]

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله

وأحببنا أن لا يكون مجموعاً فى مكان واحدٍ، إبقاءً على نشاط القارئ والمستمع.

مَرّ ابن أبى علقمة [1] بمجلس بنى ناجية [2]، فكبا حمارُه لوجهه، فضحِكوا منه، فقال: ما يضحككم؟ رأى وجوهَ قريشٍ فسجد [3]!

أبو الحسن قال: أتى رجلٌ عِباديًّا [4] صيرفيًّا، يستسلف منه مائتى درهم، فقال: وما تصنع بها؟ قال: أشترِى بها حماراً فلعلِّى أربح فيه عشرين درهما! قال: إذًا أنا وهبتك العشرين [5] فما حاجتُك إلى المائتين؟ قال: ما أريد إلاّ المائتين! فقال: أنت لا تريد أن تردَّها على!

---

(١) مضى له خبر فى (٢ : ٢٣٥)، وهو أحد الممرورين. وسماه أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ٥١) : « ابن أبى علقمة اليحمدى المجنون ». واليحمدى نسبة إلى اليحمد، من بنى زهران بن الأزد. المعارف ٤٨ — ٤٩. وهو أحد رجال الأزد فى أيام الدولة الأموية. وكان الفرزدق قد أسرف فى هجاء الأزد حتى أحفظهم ذلك، ومر يوماً بمجلسهم وفيهم ابن أبى علقمة، فوثب عليه وحاول أمراً فظيعاً، وطلب إليهم أن يخلوا بينه وبينه، يرى فى ذلك كفًّا له عن هجائهم، ففزع الفرزدق وكان من أجبن الناس، فجعل يستغيث ويقول: ويلكم لا يمس جلده جلدى فيبلغ ذلك جريراً فيوجب على أنه كان منه الذى يقول! فلم يزل يناشد القوم حتى كفوه عنه. الأغانى (١٩ : ٢٩، ٣٨، ٥١). وفى عيون الأخبار (١ : ٣١٨) : « قال بلال بن أبى بردة لابن أبى علقمة : إنما دعوتك لأسخر منك. فقال له ابن أبى علقمة : لئن قلت ذاك لقد حكم المسلمون رجلين، سخر أحدهما من الآخر! ».

(٢) هم بنو ناجية بن سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وأمهم ناجية بنت جرم بن زبان. السمعانى ٥٥٠ ب والمعارف ٥٠ ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٣٠.

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٤).

(٤) العبادى: نسبة إلى العباد، بكسر العين، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.

(٥) من القليل استعمال « وهب » متعدية لاثنين. وفى اللسان (وهب) عن أبى عمرو، أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: « انطلق معى أهبك نبلا ».

قال : وأتى قوم عِبَادِيًّا فقالوا : تحبُّ أن تُسْلِف فلاناً ألف درهم وتؤخره سنة ؟
فقال : هاتان حاجتان ، وسأُقضى لكم إحداهما ، وإذا فعلتُ ذلك فقد
أنصفت، أمّا الدّراهم فلا تسهُل علىّ ، ولكنّى أؤخره سنتين .
ولعب رجلٌ قدَّامَ بعض الملوك بالشّطرنج ، فلمّا رآه قد استجاد لعبَه
وفاوَضَه الكلامَ [١] قال له : لم لاتولِّينى نهرَ بوق [٢] ؟ قال : أولّيك نصفَه ،
اكتُبوا له عهدَه على بُوق !
وقال له مرّةً : ولّنى أرمِينِيَة . قال : يُبطِئُ على أمير المؤمنين خبرُك !
وقدِم آخرُ على صاحبٍ له من فارس ، فقال : قد كنتَ عند الأمير [٣]
فأىَّ شىءٍ ولاّك ؟ قال : ولاّنى قفاه !
قال : ونظر أميرٌ إلى أعرابىّ فقال : لقد همَّ لى الأميرُ بخير ؟ قال:
مافعلتُ ؟ قال : فبشَرٌّ ؟ قال : وما فعلتُ ؟ قال : إنّ الأمير لمجنون !
قال أبو الحسن : شهد مجنونٌ على امرأةٍ ورجلٍ بالزّناءِ فقال الحاكم : تشهدُ
أنّكَ رأيتَه يُدخِله ويخرجه ؟ قال : والله أنْ لو كنتُ جلدةَ استِها لما شَهِدت بهذا .
قال : وكان رجلٌ من أهل الرّىّ يجالسنا ، فاحتبس عنّا ، فأتيتُه فجلست
معه على بابه ، وإذا رجلٌ يدخُل ويَخرج فقلتُ : من هذا ؟ فسكت ، ثم أعدتُ
فسكَت ، فلما أعدت الثالثةَ قال : هو زوج أختِ خالتى !
وقال الشاعر :

إذا المرءُ جازَ الأَربعينَ ولم يكُنْ ... له دُونَ مايأْتى حَياءٌ ولا سِتْرُ
فدَعْهُ ولا تَنْفسْ عليه الّذى أتَى ... ولو جَرَّ أرسانَ الحَياةِ له الدَّهْرُ [٤]

* * *

(١) المعروف : فاوضه فى الكلام ، أى جاراه فيه .
(٢) نهر بوق : طسُّوج من سواد بغداد قرب كلواذا . قالوا : إن جنوبى بغداد من كلواذا ، وشماليها من نهر بوق .
(٣) ما عدا ل : « عند أمير المؤمنين » .
(٤) فى حواشى هـ : « خ : أسباب » .

أعرابىّ خاصمته امرأته إلى السُّلطان ، فقيل له : ماصنَعَت ؟ قال : خيراً ، كَبَّها الله لوجهها ، وأمَرَ بى إلى السجن !

قال أبو الحسن : عرض الأسدُ لأهل قافلة ، فتبرَّعَ عليهم رجل [١] ، فخرج إليه فلما رآه سقط وركِبه الأسدُ ، فشدُّوا عليه بأجمعهم ، فتنحَّى عنه الأسدُ ، فقالوا له : ما حالك ؟ قال : لا بأس علىّ ، ولكنّ الأسدَ خَرِىَ فى سراويلى . ٥

أبو الحسن : قال أبو عَبَاية السُّليطىّ : قد فَسَدَ الناس ! قلت : وكيف ؟ قال : ترى بساتين هَزَارَمَرْد [٢] هذه ما كان يمرُّ بها غلام إلاّ بِخَفير [٣] . قلت : هذا صلاح ! قال : لا بل فساد . ٣٠١

أبو الحسن قال : خطب سَعيد بن العاص [٤] ، عائشة بنت عثمان [٥] على أخيه فقالت : لا أتزوّجه [٦] ! قال : ولم ؟ قالت : هو أحمق ! له بِرذونان أشهبان ، فيحتمل مَؤونة اثنين وهما عند الناس واحد . ١٠

قال : كان المغيرة بن المهلَّب ممروراً ، وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مِرَّته ، فقال له الحجاج : ادخُل المتوضَّأ . وأمرَ مَن يقيم عنده حتّى يتقيّأ ويُفيق .

* * *

قال أبو الحسن : قالت خَيرَة بنت ضَمْرة القشيريَّة ، امرأة المهلَّب ، للمهلَّب : إذا انصرفتَ من الجمعة فأحبُّ أن تمرّ بأهلى . قال لها : إنَّ أخاك أحمق ! قالت : فأنّى أحبُّ أن تفعل ! فجاء وأخوها جالسٌ وعنده جماعةٌ فلم يوسِّع له ، ١٥

---

(١) ل : « فتسرع » .

(٢) سبق تفسيرها فى (٣ : ٢٢١) حيث سلف الخبر برواية أخرى .

(٣) بعده فيما مضى : « وهم اليوم يخترقونه » . ٢٠

(٤) سبقت ترجمته فى (٢:٢٩٥).

(٥) هـ : « ابنة عثمان » .

(٦) ماعدا ل : « لا نزوجه » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « لا أتزوجه » .

فجلس المهلَّب ناحيةً ثم أقبل عليه فقال له : ما فعل ابنُ عمِّك فلان ؟ قال : حاضر . فقال : أرسِلْ إليه . ففعل ، فلما نظر إليه غيرَ مرفوع المجلس قال : يا ابن اللَّخناء ، المهلَّبُ جالسٌ ناحيةً وأنت جالسٌ فى صدر المجلس ؟! وواثبه . فتركه المهلَّبُ وانصرف ، فقالت له خَيرة : أمررتَ بأهلى ؟ قال : نعمْ ، وتركتُ
٥ أخاك الأحمق يُضربَ !

* * *

قال : وكتب الحجّاج إلى الحكَم بن أيوب [١] : « اخطُبْ على عبد الملك ابن الحجّاج امرأةً جميلةً من بعيد ، مليحةً من قريب ، شريفةً فى قومها ، ذليلةً فى نفسها ، أمَةً لبعلها » . فكتب إليه : « قد أصبتُها لولا عِظَم ثدييها ! » . فكتب
١٠ إليه الحجّاج : لا يَحسُن نحرُ المرأة حتَّى يَعظُم ثدياها .

قال المرّارُ بن مُنقِذٍ العَدَوىّ [٢] :

صَلْتَةُ الخَدِّ طَوِيلٌ جِيدُهَا ضَخْمَةَ الثّدى ولَمَّا يَنكَسِرْ [٣]

وقال على بن طالب رضى الله تعالى عنه : « لا ، حتَّى تدفأ الضَّجيع ، وتُروِىَ الرضيع [٤] » .

١٥ وقال ابن صُدَيقة [٥] لرجلٍ رأى معه خُفًّا : ماهذه القَلَنْسُوة ؟ فاحتكموا إلى عِرباض ، فقال عِرباض : هى قلنسوة الرِّجْلَيْن !

---

(١) هو الحكم بن أيوب بن الحكم بن عقيل الثقفى ، زوج زينب بنت يوسف ، وهى أخت الحجاج . ولما ولى الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة ، ثم عزله وولى غيره ، ثم رده إليها . الأغانى (٦ : ٢٧) .

(٢) هو المرار بن منقذ بن عبد بن عمرو بن صدىّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن
٢٠ تميم ، الحنظلى العدوى . الشعراء ٦٧٨ والمؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٩ والخزانة (٢ : ٣٩١ — ٣٩٦) . هـ : « الجملى » ، تحريف .

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ٨٠ — ٨١) برواية : « ناهد الثدى » . صلتة الخد : منجردته ليست برهلة .

(٤) سبق الخبر فى (٢ : ٧٨) .

٢٥ (٥) هو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة ، المترجم فى (١ : ٣٤٣) . وانظر ماسبق فى (٣ : ٢٦٥) .

قال أبو إسحاق : قلت لخنجير كوز (١) : وعدتك أن تجيئني (٢) ارتفاعَ النهار فجئتنى صلاةَ العصر ! قال:جئتُك ارتفاعَ العشىّ !

٣٠٢ قال : قيل لأعرابىّ : ما اسمُ المرق عندكم ؟ قال:السَّخين . قال : فإذا بَرُدَ ؟ قال : لا ندعُه حتّى يبرُد .

باع نخّاسٌ (٣) من أعرابىّ غلاماً فأراد أن يتبرّأ من عَيبه ، قال : اعلم أنّه يبول فى الفِراش . قال . إنْ وجد فِراشاً فليبُلْ فيه ! ٥

حدثنا صديقٌ لى قال : أتانى أعرابىٌّ بدِرهم فقلت له : هذا زائف ، فمن أعطاكه ؟ قال : لصٌّ مثلك !

وقال زيد بن كَثْوة (٤) : أتيت بنى كَشٍّ هؤلاء (٥) ، فإذا عُرس ، وبُلِقَ البابُ ، فادْرَنفقَ (٦) وادَّمَج فيه سرَعانٌ من الناس (٧) ، وأَلَصْتُ وُلوجَ الدار (٨) فدَلَظنى الحدّاد دلظةً (٩) دَهْوَرنى على قِمّة رأسى ، وأبصرت شِيخَانَ الحىِّ هناك (١٠) ، ينتظرون المَزِيَّة (١١) ، فعُجْت إليهم ، فواللهِ إنْ زِلْنا (١٢) نَظَارِ نَظارِ ١٠

---

(١) كذا ورد بهذا الرسم فى جميع النسخ . وفى (٣ : ٢١٤) . « خنجير كون » .

(٢) ما عدا ل : « أن تجىء » . ١٥

(٣) النخاس ، أصله بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها ، ثم سمى بائع الرقيق نخاساً .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٦٣) .ماعدا ل ، هـ : « يزيد بن كثوة » ، تحريف .

(٥) كش ، كذا ورد فى ل ، هـ بفتح الكاف .

(٦) بلق الباب:فتحه كله ، أو فتحه فتحاً شديداً ، وادرنفق القوم : تقدموا وأسرعوا .

(٧) ادمجوا فيه : دخلوا . وسرعان الناس ، بالتحريك : أوائلهم المستبقون إلى الأمر . ٢٠

(٨) ألاص : أراد ؛ يقال : ألاصَ يليص إلاصة ، أى أراد .

(٩) دلظه : ضربه أو دفعه فى صدره . والحداد : البواب .

(١٠) الشيخان ، بالكسر : جمع من جموع الشيخ .

(١١) المزية : الطعام يخص به الرجل ، ومثله القفية واللوية .

(١٢) أى ما زلنا . ل : « ما زلنا » . ٢٥

حتَّى عَقَلَ الظلّ (١) فذكرت أخِلاَّئى من بنى تبر ، فقصدتهم وأنا أقول :

تَرَكْنَ بَنِى كَشٍّ وما فى دِيارِهِمْ عَوامِدَ واعْصَوْصبنَ نحوَ بَنِى تِبْرِ (٢)

إلى مَعشَرٍ شُمِّ الأُنوفِ ، قِراهُمُ إذا نزل الأضيافُ مِن قَمَعِ الجُزْرِ (٣)

وانصرفت وأتيتُ باب بنى تبر (٤) ، وإذا الرجال صَتِيتانِ (٥) ، وإذا أرمِداءُ كثيرة (٦) ، وطُهاةٌ لا تحصَى ، ولُحمانٌ فى جُثمان الإكام (٧) .

صالح بن سليمان قال : مِن أحمق الشعر قول الذى يقول (٨) :

أُهِيمُ بدعدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بِدعدٍ من يَهيمُ بِها بَعدِى (٩)

ولا يشبه قول الآخر (١٠) :

فلا تَنكحِى إن فَرّقَ الدّهرُ بينَنا أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزعا

---

(١) عقل الظل يعقل ، أى قلص ، وذلك عند انتصاف النهار .

(٢) يقال اعصوصب القوم ، إذا جدوا فى السير .

(٣) الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف ، مع حسن واستواء . وشمم الأنف كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس . والقمع ، بالتحريك : جمع قمعة ، وهى أعلى السنام من البعير أو الناقة . والجزر ، أصله الجزر بضمتين جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة

(٤) ما عدا ل : « باب كش » ، تحريف .

(٥) الصتيت : الفرقة من الناس فى جلبة ونحوها .

(٦) الأرمداء : جمع للرماد . ويقال أيضاً « إرمداء » بالكسر ، وهذا اسم جمع له .

(٧) فى جثمانها ، أى فى قدر جثمانها. والإكام : جمع جمع للأكمة . يقال أكمة وأكم ، ثم يجمع هذا على إكام . والأكمة : موضع غليظ أشد ارتفاعاً مما حوله .

(٨) ما عدا ل : « من أحمق الشعراء الذى يقول » .

(٩) البيت للنمر بن تولب فى الشعراء ٢٦٩ . ويروى أيضاً لنصيب كما فى المرجع نفسه برواية : « أوصى بدعد » . ونسب إلى نصيب فى الأغانى (١١ : ١٨/١٤ : ١٦٧ / ١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) برواية : « فواكبدى من ذا يهيم بها » . وقيل إن بيت نصيب هو :

أهيم بدعد ماحييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدى

أو « فواكبدى من ذا يهيم » . وأن الأقيشر قال حين سئل : كيف تقول لو كنت قائله ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت أُوَكِّل بدعد من يهيم بها بعدى

انظر الشعراء ٣٧٣ . ورويت رواية مناقضة لهذه فى الكامل ١٠٣ ــ ١٠٤ ليبسك .

(١٠) هو هدبة بن الخشرم ، كما فى اللسان (نزع ، غمم) . والغمم : أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا . والعرب تذمه وتتشاءم به ، وتزعم أن الأغم القفا والجبين لا يكون إلا لئيما . والأنزع : الذى انحسر مقدم شعر رأسه عن جانبى الجبهة .

قال : مات لابن مقرِّنٍ غلام ، فحفر لهم أعرابيٌّ قبره بدرهمين ، وذلك فى بعض الطَّواعين ، فلما أعطَوه الدِّرهمين قال : دعُوهما حتَّى يجتمع لى عندكم ثمنُ ثوب !

وأدخل أعرابيٌّ إلى المربد جَليباً له [1] فنظر إليها بعض الغوغاء [2] فقال : لا إله إلا الله ، ما أسمن هذه الجُزُر ! قال له الأعرابى : ما لها تكون جُزُراً ، جَزَرَكَ الله [3] . ٥

قال أبو الحسن : جاء رجلٌ إلى رجلٍ من الوجوه فقال : أنا جارُك . وقد مات أخى فمُرْ لى بكفَن . قال : لا واللهِ ما عندى اليومَ شىء ، ولكن تعهَّدْنا وتعودُ بعد أيام ، فسيكون ما تحبّ ! قال : أصلحَكَ الله ، فنُملِّحه إلى أن يتيسر عندكم شىء ؟! ٣٠٣

قال : كان مولى البَكَرات يدَّعى البلاغة ، فكان يتصفح كلامَ الناس فيمدح الردىء ويذمّ الجيِّد ، فكتب إلينا رسالة يعتذر فيها من تركه المجىء ، فقال : « وقطَعنى عن المجىء إليكم أنه طلعَتْ فى إحدى أُليَتَي ابنى بَثْرةٌ ، فعظُمت وعظُمت حتى صارت كأنها رُمّانة صغيرة » . ١٠

وقال على الأسوارىّ [4] : « فلما رأيته اصفرّ وجهى حتى صار كأنه الكَشُوث [5] » . ١٥

وقال له [6] محمد بن الجهم : إلى أين بلغ الماء منك ؟ قال : إلى العانة . قال

---

(١) الجليب والجلب : ما جلب من بلد إلى غيره من خيل أو إبل أو متاع .

(٢) الغوغاء ، أصله الجراد حين يخف للطيران . ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر . ويجوز أن يكون من الغوغاء ، وهو الصوت والجلبة ، وذلك لكثرة لغطهم وصياحهم .

(٣) فى الأصول : « أجزرك الله » . وأجزره : أعطاه جزوراً . ٢٠

(٤) ل ، هـ : « على بن الأسوارى » تحريف . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٧) والبيان (٢ : ٢٦١) .

(٥) الكشوث ويقال أيضاً « الأكشوث » : نبات يمتد على مايلاصقه كالخيوط ، إلى غبرة وحمرة . تذكرة داود .

(٦) أى قال لعلى الأسوارى .

شعيب بن زرَارة : لو كان قال : إلى الشَّعرة ، كان أجود !

وقال له محمد بن الجهم : هذا الدواء الذى جئتَ به قدرَ كَمْ آخذُ منه ؟ قال : قدرَ بعرة .

وقال علىّ : جاءنى رجلٌ حَزَنْبَلٌ [١] من هاهنا إلى ثَمَّة !

٥

* * *

وقال قاسمٌ التَّمَّار : بينهما كما بينَ السماء إلى قريب من الأرض !

وقال قاسم التَّمَّار : رأيت إيوانَ كسرى كأنما رُفِعت عنه الأيدى أوّلَ من أمْس !

وأقبل على أصحابٍ له وهم يشربون النبيذ ، وذلك بعد العصر بساعة ،

١٠ فقال لبعضهم : قُمْ صَلِّ فاتَتْكَ الصلاة ! ثم أمسَك عنه ساعة ، ثم قال لآخر : قُمْ صَلِّ ويلك فقد ذهب الوقت ! فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالسٌ لا يقوم يصلّى قال له واحدٌ منهم : فأنت لِمَ لا تصلّى ؟ فأقبل عليه فقال : ليس والله تعرَفون أُصلِى فى هذا . قلت : وأىُّ شىء أصلك ؟ قال : لا نصلّى لأنّ هذه المغربَ قد جاءَت !

١٥ وقال قاسم : أنا أنفَسُ بنفسى على السلطان .

وأتى منزلَ ابن أبى شهابٍ وقد تعشَّى القومُ وجلسوا على النبيذ ، فأتوه بخُبزٍ وزيتون وكامَخ [٢] فقال : أنا لا أشرب النّبيذَ إلاّ على زُهومة [٣] . ٣٠٤

وقال : حين بِعتُ البغل بدأت بالسّرج [٤] .

---

(١) الحزنبل : القصير المجتمع .

٢٠ (٢) الكامخ ، بفتح الميم : اسم لما يؤتدم به ، أو لما يشهى الطعام ، معرب من « كامه » الفارسية . المعرب ٢٩٨ واستينجاس ١٠٠٩ واللسان والقاموس .

(٣) الزهومة : ريح اللحم السمين المنتن .

(٤) فى جميع النسخ : « بالفرج » . لكن فى هـ : « بالسرج » .

وقال : ليس فى الدنيا ثلاثةٌ أنكحُ منّى : أنا أُكْسِلُ منذُ ثلاثِ ليالٍ فى كلِّ ليلة عَشْرَ مرّات ! كأنّ الإكسال عنده هو الإنزال (١) .

وقال : ذهب والله منّى الأطيبَين ؟ قلت : وأىُّ شىء الأطيبَين ؟ قال : قوةّ اليدينِ والرّجلين (٢) .

وقال : فالتوَى لى عرقٌ حين قعدتُ منها مقعَد الرجلِ من الغُلام . ٥

وقال فى غلامٍ له رومىّ ، ما وضعتُ بينى وبين الأرض أطيَبَ منه .

قال : ومحمّد بن حسان لا يشكرُنى ، فوالله ما ناك حادِراً قطُّ إلا على يدىّ (٣) .

وقال أبو خَشْرم : ما أعجبَ النَّيك ؟ فقيل له : النيك وحده ؟ قال : سمِعنا الناس يقولون : ما أعجب أسباب الرزق ، وما أعجب الأسباب !

١٠ وكان قاسمٌ التَّمَّارُ عند ابنٍ لأحمد بن عبد الصمد بن علىّ ، وهناك جماعة ، فأقبل وهبٌ المحتسب يعرِّض له بالغلمان ، فلما طال ذلك على قاسمٍ أراد أن يقطَعه عن نَفْسه بأن يعرّفه هوَانَ ذلك القول عليه فقال : اشهدوا جميعاً أنّى أنيك الغلمان ، واشهدوا جميعاً أنى أُعفِجُ الصِّبيان ! والتفتَ التفاتةً فرأى الأخوين الهذليّين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال : عنيت بقولى : اشهدوا جميعاً أنى ١٥ لوطىّ ، أى أنّى على دين لُوط ! قال القوم بأجمعهم : أنت لم تقل اشهدوا أنّى لوطىّ ، وإنما قلت : اشهدوا جميعاً أنى أنيك الصِّبيان !

قال سفيان الثورىّ (٤) : لم يكن فى الأرض أحد قطُّ أعلم بالنجوم

---

(١) الإكسال : أن يفتر ذكره قبل الإنزال وبعد الإيلاج .

(٢) الأطيبان عند العرب ، هما الأكل والنكاح ، أو النوم والنكاح . قال

٢٠ إذا فات منك الأطيبان فلا تبل ... متى جاءك اليوم الذى كنت تحذر

وقيل : النكاح وطيب النكهة . وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « الأطيبان التمر واللبن » . انظر جنى الجنتين للمحبى ٢١ ، واللسان (طيب ٥٤) .

(٣) الحادر : الغلام الممتلىء الشباب . ماعدا ل : « حاذرا » تحريف .

(٤) ل : « أبو سنان السدوسى » هـ : « أبو سفيان السدوسى » . وانظر ما سيأتى فى ترجمة ماشاء الله المنجم .

ثُمَّ بالقِرانات [١] من « ما شاءَ اللهُ كان » ، يريد ما شاء الله المنجِّم [٢] .

وكان يقول : هو أكفر عندى من رام هُرمُز [٣] ! يريد أكفر من هُرمُز .

ومن وَسْوَس [٤] : غَلْفَاءُ بن الحارث ، ملكُ قيسٍ عيلان ، وَسْوَس حين قتل إخوتَه . وكان يتغلَّفُ ويغلِّف أصحابَه بالغالية [٥] ، فسمِّى غلفاءَ بذلك .

٥ وكان رجلٌ ينيك البَغلات ، فجلس يوماً يُخبِّر [٦] عن رجلٍ كيف ناك بغلةً ، وكيف انكسرت رجلُه ، وكيف كان ينالها ، قال : كان يضع تحت رجله لَبِنةً ، فبينما هو يُنْحِي فيها إذا انكسرت اللَّبِنة من تحت رجله ، وإذا أنا على قفاى ! ٣٠٥

* * *

ومن الاحاديث المولدة التى لا تكون ، وهو فى ذلك مليحٌ ، قولهم :

---

١٠ (١) القرانات : قرانات النجوم ، ومايترتب عليها من معرفة الحظ . واقتران الكوكبين : مسامتة أحدهما الآخر : يكون أحدهما أعلى من صاحبه ، وفلكه خلاف فلك الآخر ، فيسامت أحدهما صاحبه ، فيحاذيان موضعاً واحداً من ذلك البرج ، ويتحركان على سمت واحد ، فيراهما الناظر مقترنين لبعدهما عن الأرض ، وبين أحدهما وصاحبه فى العلو بعد كثير . وفى البروج ماهو نارى ، وما هو مائى . انظر تفصيل الكلام فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٢٢) .

١٥ (٢) ما شاء الله المنجم اليهودى ، واسمه ميشا بن أبرى ، كان فى زمن المنصور وعاش إلى أيام المأمون ، وكان ذا حظ قوى فى معرفة الغيب . وروى أن سفيان الثورى لقى ما شاء الله فقال له : أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل ، وأنت ترجو المشترى وأنا أرجو رب المشترى ، وأنت تغدو بالاستشارة وأنا أغدو بالاستخارة ، فكم بيننا ؟ فقال له ماشاء الله : كثير مابيننا ، حالك أرجى ، وأمرك أنجح وأحجى ! وله من التصانيف : كتاب المواليد الكبير ، كتاب القرانات ، وكتاب صنعة الأصطرلاب . انظر ابن النديم ٢٨٣ ٢٠ ليبسك وأخبار الحكماء للقفطى ٣٢٧ ليبسك .

(٣) رام هرمز : مدينة من نواحى خوزستان .

(٤) وسوس فهو موسوس بكسر الواو بين السينين : اختلط عقله واعترته الوساوس ، سمى موسوسا لتحديثه نفسه بالوسوسة . قال ابن الأعرابى : « ولا يقال موسوس » أى بفتح الواو . لكن ضبطت فى ل ، هـ بالبناء للمجهول .

٢٥ (٥) تغلف بالطيب : ادهن به . والغالية : نوع من الطيب ، مركب من مسك وعنبر وعود ودهن .

(٦) ما عدا ل : « يحدث » . وكلمة « يوما » ساقطة من ل .

ناك رجلٌ كلبةً فعَقَدَتْ عليه ، فلما طال عليه البلاءُ رَفع رأسَه فصادف رجلاً يطّلع عليه من سَطح ، فقال له الرجل : اضربْ جنبها . فلما ضربَ جنبَها وتخلَّص قال : قاتَلَه الله : أيُّ نيّاكِ كلباتٍ هو !

وكان عندنا بالبصرة [1] قاصٌّ أعمى ، ليس يحفظ من الدنيا إلاّ حديثَ جِرجِيس [2] ، فلما بكى واحدٌ من النّظّارة قال القاصّ : أنتم من أيِّ شيءٍ تبكون [3] ! إنما البلاء علينا مَعاشِرَ العُلَماء !

قال : وبكَى حولَ أبي شيبانَ ولدُه وهو يريد مكة ، قال : لا تبكوا يابَنِيّ ، فإني أُريدُ أنْ أُضَحِّيَ عندكم !

وقال أخوه : وُلِدتْ في رأس الهلال للنِّصف من شهر رمضان ! احسُبْ أنت الآنَ هذا كيف شئت !

وقال : تزوّجت امرأةً مخزوميّة عمُّها الحجاجَ بن الزُّبير الذى هدم الكعبة !

وقال : ذلك لم يكن أباً ، إنما كان والداً !

وقال أبو دينار : هو وإن كان أخاً فقد ينبغي أن يُنْصَفَ !

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(٢) في القاموس : « جرجيس نبي عليه السلام » وفي المعارف ٢٥ : « وجرجيس من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين ، فبعث إلى ملك الموصل ، وهو بعد المسيح » . وانظر خبره مسهبا وما نال من صنوف العذاب والاضطهاد ، عند الطبري في تاريخه (٢ : ٤٨ — ٥٥) .

(٣) هـ : « بأي شيء تبكون » .

ومن المجانين

علي بن إسحاقَ بن يحيى بن مُعاذ . وكان أوَّلُ ما عُرف من جُنونه أنه قال : أرى الخطأَ قد كثُر فى الدُّنيا ، والدُّنيا كلُّها فى جوف الفلَك ، وإنما نُؤتَى منه ، وقد تخلخل وتخرّم [١] وتزايل ، فاعتراه ما يعترى الهَرْمَى ، وإنما هو منجنونٌ [٢] فكم يصير ؟ وسأحتال فى الصعود إليه ، فإني إن نجَرته [٣] ورَندجْتُه [٤] وسوّيته ، انقلب هذا الخطاءُ كله إلى الصواب [٥] .

وجلس مع بعض متعاقِلى فتيانِ العسكر ، وجاءهم النخّاس بجَوارٍ فقال : ليس نحن فى تقويم الأبدان ، إنما نحن فى تقويم الأعضاء ، ثمن أنفِ هذه خمسة وعشرون ديناراً ، وثمن أُذنيها ثمانيةَ عشر ، وثمن عينيها ستة وسبعون ، وثمن رأسها بلا شيء من حواسِّها مائة دينار ! فقال له صاحبه المتعاقل : ها هُنا بابٌ هو أدخَلُ فى الحكمة من هذا ! كان ينبغى لقدم هذه أن تكون لساقِ تلك ، وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه ، وكان ينبغى لشفتَىْ تِيك أن تكون لفم تِيك ، وأن تكون حاجبَا تيك لجبين هذه ! فسمِّىَ مقوِّم الأعضاء .

ومن النوكى

كلاب بن ربيعة ، وهو الذى قتل الجشمىَّ قاتلَ أبيه دون أُخوته ، وهو القائل :

ألم تَرَنى تَأَرْت بشيخِ صِدْقٍ ... وقد أخذ الإداوةَ فاحتساها

---

(١) ما عدا هـ : « وتخزم » .

(٢) أى كالمنجنون ، وهو الدولاب الذى يدور ويستقى عليه . وفى حواشى هـ : « يقال للفلك منجنون لاستدارته » . ماعدا هـ : « مجنون » .

(٣) النجر : فعل النجار ، من قطع الخشب ونحته . ماعدا ل : « بحرته » .

(٤) أراد صبغته باليرندج ، وهو صبغ أسود ، فارسى معرب .

(٥) الخطاء : الخطأ . ماعدا ل : « الخطأ » .

ثأرتُ بشيخِهِ شيخاً كريما شِفاء النَّفس إن شيءٌ شَفاها

ومنهم : نَعامةُ ، وهو بَيْهَسٌ (١) ، وهو الذى قال : « مُكرهٌ أَخاكَ لا بَطَل (٢) » .
وإياه يعنى الشاعر (٣) :

ومِـن حَذَرِ الأيـامِ ماحَـزَّ أنفَـهُ قَصيرٌ ولاقَى الموتَ بالسيفِ بَيْهَسُ (٤)
نَعامةُ لمّا صَرَّعَ القومُ رَهْطَهُ تبيَّنَ فى أثوابِهِ كيفَ يَلبَسُ ٥

وقال الحضرمىّ : أمّا أنا فأشهد أنّ تميماً أكثرُ من محارب .

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان ، وهو أحد مدركى الأوتار الثلاثة فى الجاهلية ، والثانى سيف بن ذى يزن ، والثالث قصير صاحب جذيمة . وكان من خبره أن قوماً أغاروا على إخوته وأهل بيته وقتلوهم أجمعين وأسروا بيهسا ، فلما نزلوا بعض المنازل راجعين نحروا جزوراً فأكلوا وقالوا : ظللوا البقية . فقال بيهس : « لكن بالأثلاث لحماً لا يظلل » — يعنى أجساد من أصيب من قومه — فذهبت مثلا . فلطمه رجل منهم وجعل ١٠ يدخل رجليه فى يدى سرباله ، فقال له رجل منهم : لم تلبس هذا اللبس ؟ وجعل يعلمه كيف يلبس ، فقال :

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

فلطمه الرجل الذى كان لطمه مرة أخرى ، فقال له بيهس لو نكلت عن الأولى لم تعدْ إلى الثانية . فقال بعضهم : إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل ، فخلوا عنه ! فخلوه فلماً أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه فقال : « يا حبذا التراث لولا الذلة » فذهبت مثلا . فاجتمع عليه الغمُّ مع ما به من قلة العقل : فجعلت أمه ١٥ تعاتبه ويشتد عليها ذلك منه ، فقالت:لو كان فيك خير لقتلتَ مع قومك فقال : « لو خيرت لاخترت » ، فذهبت مثلا ثم جمع جمعا وغزا القوم الذين وتروه ، ومعه خال له ، فوجدوهم فى وهدة من الأرض كبيرة ، فدفعه خاله عليهم — وكان جسيما طويلا وإنما سمى نعامة لذلك ، ولأنه كان شديد الصمم مائقا — فقاتل القوم وهو يقول : « مكره أخاك لا بطل » . وقتل القوم وأدرك بثأره . الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٣) والحيوان (٤ : ٤١٣) . ٢٠

(٢) انظر الحاشية السابقة . و « أخاك » على لغة من يلزم الأسماء الستة الألف.هـ : « أخوك » .

(٣) هو المتلمس . ديوانه نسخة الشنقيطى ٦ والأغانى (٢١ : ٢٣٢) وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ ومروج الذهب (٢ : ٩٧) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) والخزانة (٣ : ٢٧٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . ونسبه الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٢١٣) إلى عدى بن زيد .

(٤) رواية الديوان : « فمن طلب الأوتار » . وانظر خبر « قصير » عند الميدانى فى « خطب يسير فى خطب كبير » ، والخزانة (٣ : ٣٧١ — ٣٧٢) ومروج الذهب (٢ : ٩٠ — ٩٧) . فى الحيوان : « وخاض الموت » . وفى المروج والأغانى والخزانة ومجمع الأمثال : « ورام الموت » . ٢٥

وقال حيّان البزّاز [١] : قَبّح الله الباطل ، الرُّطب بالسُّكّر والله طيّب .

قال أبو الحسن : سمعت أبا الصُّغدى الحارثى [٢] يقول : كان الحجّاج أحمق ، بنى مدينَة واسِط فى بادية النَّبط ثم قال لهم : لا تدخلُوها . فلمّا مات دَبُّوا إليها من قريب .

٥ مَسعدة بن المبارك قال : قلت للبَكراوىّ : أبامرأتك حَمل ؟ قال : شىءٌ ليس بشىء !

قال : لمّا بنى عُبيد الله بن زيادٍ البيضاء [٣] ، كتب رجلٌ على باب البيضاء : « شىء ، ونصف شىء ، ولا شىء . الشىء : مِهران التَّرجُمان ، ونصف شىءٍ : هند بنت أسماء [٤] ، ولا شىء : عبيد الله بن زياد ! » . فقال عبيد الله :

١٠ اكتبوا إلى جنبه : لولا الذى زعمتَ أنّه لا شىء لما كان ذلك الشَّىء شيئاً ، ولا ذلك النِّصف نصفا .

وقال هشام بن عبد الملك يوماً فى مجلسه : « يُعرف حمق الرجل بخصال : بطول لحيته ، وشناعة كنيته ، وبشهوته ، ونقش خاتمه » . فأقبل رجلٌ طويل اللحية ، فقال : هذه واحدة ، ثم سأله عن كنيته فإذا هى شنعاء ، فقال : هاتان

---

١٥ (١) ما عدا ل ، هـ : « البزار » بالمهملة فى آخره .

(٢) انظر ماسبق فى (١ : ٢٧٥ س ٧) . هـ : « سمعت الصغدى » .

(٣) البيضاء هذه : دار عمرها عبيد الله بن زياد بن أبيه بالبصرة . يزعمون أنه لما تم بناؤها أمر وكلاءه ألا يمنعوا أحدا من دخولها ، وأن يتحفظوا كلاما إن تكلم به أحد . فدخل فيها أعرابى — وكان فيها تصاوير — ثم قال : لا ينتفع بها صاحبها ، ولا يلبث فيها إلا قليلا . فأُتى به ابن زياد وأخبر بمقالته ، فقال له : لم قلت

٢٠ هذا ؟ قال : لأنى رأيت فيها أسداً كالحاً ، وكلباً نابحاً ، وكبشاً ناطحاً . فكان الأمر كما قال ، ولم يسكنها إلا قليلا حتى أخرجه أهل البصرة إلى الشام ولم يعد إليها . معجم البلدان .

(٤) هى هند بنت أسماء بن خارجة الفزارى ، كان عبيد الله بن زياد أبا عذرها ، فلما قتل تزوجت بعده بشر بن مروان فولدت له عبد الملك ، ثم خلف عليها الحجاج . الأغانى (١٨ : ١٢٨ : ١٣٠) .

٣٠٧ ثنتان . ثم قال : وأىُّ شىءٍ أشهى إليك ؟ قال : رُمّانة مُصَاصة [١] ! قال : أَمَصَّكَ اللهُ ببظرِ أمِّك !

وقيل لأبى القَماقم : لم لا تغزو أو تخرج إلى المَصِيصَةِ [٢] ؟ قال : أَمَصَّنى الله إذاً ببَظر أمِّى ! وقال الشاعر :

أأنصر أهل الشام ممن يكيدهم ⁂ وأهلى بنجدٍ ذاك حرصٌ على النصر [٣]

وقالوا لأبى الأَصْبَغ بن رِبعىّ [٤] : أمَا تسمع بالعدوّ وما يصنعون فى البحر فلم لا تخرجُ إلى قتال العدوّ ؟ قال : أنا لا أعرفُهم ولا يعرفوننى ، فكيف صارُوا لى أعداء ؟!

قال : كان الوليد بن القعقاع عاملاً على بعض الشام ، وكان يستسقِى فى كلِّ خطبة [٥] وإن كان فى أيام الشِّعْرَى [٦] ، فقام إليه شيخٌ من أهلِ حمص فقال : أصلح الله الأمير ، إذاً تفسدَ القَطَانىّ ! يعنى الحبوب ، واحدها قِطْنِيَّة .

وأما نفيسٌ غلامى [٧] فإنه كان إذا صار إلى فراشه فى كلِّ ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه : اللهم علينا ولا حوَالَينا !

قال : وكان بالرِّقّة رجلٌ يحدِّث الناس عن بنى إسرائيل ، وكان يكنى

---

(١) المصاصة : الممتلئة . والمصاصة أيضا : الخالص من كل شىء .

(٢) ضبطه الجوهرى والفارابى بتخفيف الصاد الأولى ، والأزهرى وغيره من اللغويين بتشديدها .

(٣) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل فقط .

(٤) انظر البخلاء ١٠٥ ، ٢٢٩ . ماعدا هـ : « لأبى الإصبع » .

(٥) أى يدعو الله بطلب السقيا .

(٦) الشعرى ، تطلع فى شدة الحر . وهما الشعريان ، تقابل إحداهما الأخرى ، والمجرة بينهما . يزعمون فى تكاذيبهم أن سهيلا والشعريين كانت فى اجتماع ، فانحدر سهيل إلى اليمن فتبعته الشعرى العبور ، وأقامت الشعرى الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت ، فقيل لها:الغميصاء . اللسان (شعر) والأزمنة والأمكنة (١ : ١٩٠ / ٢ : ١٨١) .

(٧) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٤٤٠) . وكلمة « كان » بعده ساقطة من ل ، هـ .

أبا عَقيل ، فقال له الحجّاج بن حنتمة : ما كانَ اسم بقرة بنى إسرائيل ؟ قال : حنتمة ! فقال له رجلٌ من ولد أبى موسى : فى أىِّ الكتب وجدْتَ هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاصى !

* * *

٥ ومن المجانينِ [1] الأشراف : ابن صَحيانَ الأزدىّ ، وكان يقرأ : قلْ يأيُّها الكافرين . فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة فى ذلك ، ولكنّى لا أجِلُّ أمر الكفار [2] !

وقال حبيب بن أوس :

ما ولدَتْ حَوَّاءُ أحمقَ لِحيةً … مِن سائِلٍ يرجُو الغِنَى مِن سائلِ [3]

١٠ وقال أيضاً :

أيُوسُفُ جِئتَ بِالعجَبِ العجِيبِ … تركتَ النّاسَ فى شكٍّ مُرِيبِ [4]

سمِعْتُ بِكُلِّ داهيةٍ نَآدٍ … وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيب [5]

أَمَا لَو أنَّ جَهْلَكَ عاد حِلماً … إذاً لنَفَذْتَ فى عِلمِ الغُيُوب [6]

وما لكَ بالغرِيبِ يدٌ ولكِنْ … تَعاطِيكَ الغرِيبَ من الغريبِ

وأنشدوا ٣٠٨

١٥ أَرَى زمناً نَوكاهُ أَسعدُ أهلِهِ … ولكِنَّما يَشْقَى بِهِ كُلُّ عاقِلِ [7]

---

(١) ما عدا ل : « اللحانين » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « الكفرة » .

(٣) البيت من أبيات فى ديوان أبى تمام ٥٠٢ يهجو بها موسى بن إبراهيم الرافقى . ورواية الديوان : « ما خلقت حواء » .

(٤) من أبيات فى ديوانه ٤٨٩ يهجو بها يوسف السراج ، الشاعر المصرى . الديوان : « فى أمر مريب » .

(٥) النآد : الداهية نفسها .

(٦) فى الديوان : « كان علما » .

(٧) فى عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) : « ولكنه يشقى » .

مشت فَوقهُ رِجلاهُ والرَّأسُ تحتَهُ　　فكبَّ الأعالى بِارتِفاعِ الأسافِلِ (١)

وهذه أبياتٌ كتبناها فى غير هذا المكان من هذا الكتاب (٢) ، ولكن هذا المكانَ أولى بها .

وقال الشاعر (٣) :

ولِلدَّهر أيَّامٌ فكُنْ فى لِباسِهاَ　　كلبِستِه يوماً أَجَدَّ وأخلقا (٤)　٥

وكُنْ أكْيَسَ الكَيِّسى إذا كنتَ فيهمُ

وإنْ كنتَ فى الحمقَى فكُنْ أنتَ أحمقا (٥)

وقال الآخر :

وأنزلَنى طُولُ النَّوى دارَ غَربةٍ　　إذا شِئتُ لاقَيتُ الّذى لا أُشاكِلُهْ (٦)

فحامَقْتُهُ حتَّى يُقالَ سَجِيَّةٌ　　ولو كان ذا عقلٍ لكُنْتُ أُعاقلُهْ　١٠

وقال أبو العتاهِيَة :

مَن سابَقَ الدّهرَ كَبا كَبوةً　　لم يَستَقِلها مِن خُطَى الدّهرِ (٧)

فاخطُ مَعَ الدّهرِ إذا ما خَطا　　واجْرِ مع الدَّهْرِ كما يَجرِى (٨)

---

(١) ما عدا ل : « مشى فوقه » . وهو يطابق ما مضى فى (١ : ٢٤٥) .

(٢) انظر ما سبق فى (١ : ٢٤٤ – ٢٤٥) .　١٥

(٣) هو عقيل بن علفة ، كما فى الحماسة (٢ : ١٧) . وفى مجالس ثعلب ٥٠٢ أنه ماجد الأسدى . وسبق البيتان بدون نسبة فى (١ : ٢٤٥) .

(٤) فيما سبق : « فى لباسه » .

(٥) فيما سبق : « إذا ما لقيتهم » .

(٦) الغربة ، بالفتح : النوى والبعد . وقد مضى البيتان فى (١ : ٢٤٥ / ٢ : ٢٣٥) .　٢٠

(٧) الأبيات فى ديوانه ٩٨ ، وهى منقولة من الأغانى (٣ : ١٦٤) ،وفيها أن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال : قلت لأبى العتاهية : أنشدنى من شعرك مايستحسن.قال : فأنشدنى :

ما أسرع الأيام فى الشهر　　وأسرع الأشهر فى العمر

وبعده هذا البيت وتالياه . استقالها : طلب الإقالة منها

(٨) ما عدا ل : « على ما خطأ » ، وكذا فى رسائل الجاحظ (١ : ١١٣) .　٢٥

ليس لمن ليست لهُ حِيلَةٌ موجودَةٌ خير مِن الصَّبْرِ

وقال بِشرُ بنُ المعتَمِر :

حِيلةُ ما لَيسَت لهُ حِيلةٌ حُسْنُ عَزاءِ النفسِ وَالصَّبْرُ (١)

وقال صالحُ بنُ عبدِ القُدُّوسِ :

٥ وإنَّ عَناءً أنْ تُفهِّمَ جاهِلاً ويَحسَبَ جَهلاً أنه منكَ أفهمُ (٢)

متى يَبلغُ البُنْيانُ يوماً تمامَهُ إذا كنْتَ تَبنيهِ وآخَرُ يهدِمُ

وقال بِشرٌ بن المعتمِر :

وإذَا الغَبيُّ رأيتَهُ مُستغنياً أعيا الطَّبيبَ وحِيلةَ المُحْتَالِ (٣)

ومن المجانين : مهديّ بن الملوَّح الجعدى ، وهو مجنون بنى جعدة . وبنو ٣٠٩

١٠ المجنون: قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون (٤) .

وأمّا مجنون بنى عامرٍ وبنى عُقيل ، فهو : قيس بن مُعاذ ، وهو الذى يقال له : مجنونُ بنى عامر (٥) .

وهما شاعران . قيل ذلك لهما لتجنُّنهما بعشيقتين كانتا لهما . ولهما أشعار معروفة .

* * *

١٥ (١) البيت آخر بيت من قصيدة له فى الحيوان (٦ : ٢٨٤ — ٢٩١) برواية « حيلة من » .

(٢) سبق البيت فى (١ : ٢٤٦) بدون نسبة .

(٣) ل وحواشى هـ : « وإذا العيى » . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٤٥) .

(٤) أى والد هذا القبيل ليس مجنون بنى جعدة .

(٥) يصر الجاحظ على أن هذا المجنون غير الذى قبله ، انظر ماسبق فى (١ : ٣٨٥ / ٣ : ٢٢٤) .

٢٠ والحق أن الجعدى هو العامرى ، وإنما يختلف الرواة فى ذكر اسمه ، فمن قائل أنه مهدى بن الملوح ، أو قيس ابن الملوح ، أو قيس بن معاذ . انظر الأغانى (١ : ١٦) والمؤتلف ١٨٨ .

وقد أدركتُ رواةَ المسجديّين والمِربديّين [١] ومَن لم يروِ أشعار المجانين ولصوصِ الأعراب ، ونسيبَ الأعراب ، والأرجازَ الأعرابيَّةَ القصار ، وأشعارَ اليهود ، والأشعارَ المنصِفة [٢] ، فإنهم كانوا لا يعدّونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كلَّه ووقَفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفِقر والنُّتَف من كلِّ شيء . ولقد شهدتُهم وماهم على شيءٍ أحرصَ منهم على نسيبِ العباس بن الأحنف ، فما هو إلاّ أن أورَدَ عليهم خلفٌ الأحمرُ نسيب الأعراب ، فصار زُهدُهم فى شعر العباس [٣] بقدر رغبتهم فى نسيب الأعراب . ثم رأيتُهم منذ سُنيَّاتٍ ، وما يَروِى عندَهم نسيبَ الأعراب إلاّ حَدَثُ السنِّ قد ابتدأ فى طلب الشعر ، أو فِتيانىٌّ متغزِّل .

وقد جلست إلى أبى عبيدة ، والأصمعىِّ ، ويحيى بن نُجَيم [٤] ، وأبى مالك عمرو ابن كِركِرَة [٥] مع مَن جالست من رواة البغداديّين ، فما رأيت أحداً منهم

---

(١) المربديون : نسبة إلى مربد البصرة ، بكسر الميم ، وهو من أشهر محالها ، وكان يكون به سوق الإبل قديما ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ياقوت . وانظر للمسجديين ما مضى فى (١ : ٢٤٣) .

(٢) ل : « المصنفة » تحريف . والأشعار المنصفة هى القصائد التى أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم ، فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء . ويروى أن أول من أنصف فى شعره مهلهل بن ربيعة ، حيث قال :

كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

ومن المنصفات قول الفضل بن العباس فى أبى لهب :

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

انظر الخزانة (٣ : ٥٢٠ — ٥٢١)

(٣) ما عدا ل : « فى نسيب العباس »

(٤) ترجم فى (١ : ٥٩) .

(٥) كان أبو مالك يعلم فى البادية ، وورّق فى الحاضرة. ويقال إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ولأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ — ١٣٢) وإنباه الرواة مصورة دار الكتب ، وبغية الوعاة .

قصَدَ إلى شعرٍ فى النَّسيب فأنشده . وكان خلفٌ يجمع ذلك كله .

ولم أرَ غاية النحويِّين إلا كلَّ شعرٍ فيه إعراب . ولم أرَ غايةَ رواة الأشعار إلاَّ كلّ شعرٍ فيه غريبٌ أو معنىً صعبٌ يحتاج إلى الاستخراج . ولم أرَ غايةَ رواةِ الأخبار إلاّ كلَّ شعرٍ فيه الشاهد والمثل . ورأيت عامّتهم – فقد طالت مشاهدتى لهم – لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة ، والمعانى المنتخَبة ، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة ، والدِّيباجة الكريمة ،وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد ، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق ، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم ، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة ، ودلَّت الأَقلام على مدافن الألفاظ [1] ، وأشارت إلى حِسان المعانى . ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام فى رُواة الكتّاب أعمَّ ، وعلى ألسنة حُذّاق الشُّعراء أظهر . ولقد رأيت أبا عمرو الشيْبانىَّ يكتب أشعاراً من أفواه جُلَسَائه ، ليُدخِلَها فى باب التحفُّظ والتذاكُر . وربما خُيِّل إلىَّ أن أبناءَ أولئك الشعراءِ لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً ، لمكان أُعراقهم من أولئك الآباء [2] .

ولولا أن أكون عَيَّاباً ثم للعلماء خاصة ، لصوَّرْتُ لك فى هذا الكتاب بعضَ ما سمعتُ من أبى عبيدة ، ومَنْ هو أبعدُ فى وهمك من أبى عبيدة !

* * *

قال ابن المبارَك [3] : كان عندنا رجلٌ يكنى أبا خارجة ، فقال له : لِمَ كنَّوْك أبا خارجة ؟ قال : لأنى وُلدت يومَ دخل سليمانُ بن علىّ البصرة [4] .

وكان عندنا شيخٌ حارسٌ من علوج الجبَل ، وكان يكنى أبا خُزيمة ، فقلت

---

(١) ل : « على مداقق الألفاظ » ، لعل هذه « مدافق » .

(٢) الأعراق : الأصول . ما عدا ل ، هـ : « إغراقهم فى أولئك الآباء » تحريف .

(٣) هو مسعدة بن المبارك ، انظر ماسبق فى ص ١٨ س ٥ .

(٤) سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، من عمومة أبى العباس السفاح ، ولى البصرة وعمان والبحرين لأبى جعفر ، وتوفى بالبصرة سنة ١٤٢ . المعارف ١٦٤ .

لأصحابنا : هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته ، فلعلَّ الله أن يفيد من هذا الشَّيخ علماً وإن كان فى ظاهر الرأى غيرَ مأمولٍ ولا مُطمِع ! وهذه الكنية كنية زُرارة بن عُدُس [١] ، وكنية خازم بن خُزيمة [٢] ، وكنية حَمزة بن أدرَك [٣] ، وكنية فلانٍ وفلان ؛ وكلٌّ هؤلاء إمّا قائد متبوع ، وإما سيِّد مُطاع ؛ فمن أين وقع هذا العِلْجُ الألكن على هذه الكنية ! فدعوتُه فقلت له : هذه الكنية كنّاك بها إنسانٌ أو كنَّيت بها نفسَك ؟ قال : لا ، ولكنِّى كنَّيت بها نفسى ! قلت : فلِمَ اخترتَها على غيرها ؟ قال : وما يُدْرِينى ! قلت : ألك ابن يسمَّى خُزيمة ؟ قال : لا . قلت : أفكان أبوك أو عمك أو مولىً لك يسمَّى خُزيمة ؟ قال : لا . قلت : فاترك هذه الكنيةَ واكتنِ بأحسنَ منها وخُذْ منِّى ديناراً ! قال : لا والله ولا بجميع الدنيا [٤] !!

أعطى المحلولُ ابنه درهماً وقال : زِنْه . فطرح وزنَ درهمين وهو يحسبه وزن

---

(١) زرارة بن عدس – بضمتين على الأصح ، ويقال بضم ففتح – ابن زيد بن عبد الله بن دارم . جاهلى ، وكان حكيما من قضاة تميم ، وكان رئيسهم يوم شويحط . وولد حاجبا ، ولقيطا ، وعلقمة ، ولبيدا ، وخزيمة ، وعبد مناة . الاشتقاق ١٤٣ – ١٤٤ واللسان والقاموس (عدس) .

(٢) هو خازم بن خزيمة النهشلى ، من بنى صخر بن نهشل ، كان من ولاة خراسان ، وولى أيضا عمان ، ومات ببغداد فعزّى عنه أبو جعفر . المعارف ١٨٤ . وابنه خزيمة بن خازم كان قائدا ذا منزلة عند الخلفاء ، وولى الولايات . توفى خزيمة سنة ٢٠٣ . تاريخ بغداد ٣٤١ والمعارف والأغانى (٥ : ٥٣) .

(٣) فى تاريخ الطبرى (١٠ : ٦٥) وابن الأثير (٦ : ٥٣) : « حمزة بن أترك » ، وفى الفرق بين الفرق ٧٦ : « حمزة بن أكرك » ، وما فى البيان هو المطابق لما فى الملل والنحل (١ : ١٧٤) . وهو صاحب فرقة من فرق العجاردة من الخوارج ، خرج فى أيام هارون الرشيد سنة ١٧٩ بسجستان وخراسان ومكران وقهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ، وبقى الناس فى فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ، ودارت بينه وبين طاهر بن الحسين وعبد الرحمن النيسابورى حروب انتهت بموت حمزة . انظر آراءه فى المراجع المتقدمة والمواقف ٦٣٠ والاعتقادات ٤٨ . وانظر للكنية رسائل الجاحظ (١ : ٥٨) .

(٤) الخبر بعبارة أخرى فى الحيوان (٣ : ٢٨) .

دِرهم ، فلما رَفَعه وجَده زالًا (١) ، فألقى معه حبّتين ، فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شىء ، وهو ينقص حبّتين !

وكان عندنا قاصٌّ يقال له أبو موسى كُوشُ ، فأخذ يوماً فى ذِكر قِصَر الدُّنيا وطول أيام الآخرة ، وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة ، فقال : هذا ٣١١ الذى عاش خمسين سنةً لم يعِشْ شيئاً ، وعليه فَضْل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ ٥ قال : خمس وعشرون سنةً ليلٌ ، هو فيها لا يعقِل قليلا ولا كثيراً ، وخمسُ سنين قائلةٌ (٢) ، وعشرون سنةً إما أن يكون صبيًّا،وإما أن يكون معه سُكْر الشَّبابِ فهو لا يعقل . ولابدّ من صُبحة بالغَداة (٣) ، ونَعسةٍ بين المغرب والعِشاء ، وكالغَشْى الذى يصيب الإنسانَ مراراً فى دهره ، وغير ذلك من الآفات . فإذا حَصَّلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يَعِش شيئاً ، وعليه فَضْلُ سنتين ! ١٠

وقال بعض الهُلّاك (٤) : دخل فلان على كسرى فقال : أصلحك الله ، ما تأمُر فى كذا كذا ؟

وقال رجلٌ من وجوه أهل البصرة : حدثتْ حادثةٌ أيام الفُرس فنادَى كسرى : الصلاة جامعة !

وقلت لغلامى نَفيس : بعثْتك إلى السُّوق فى حوائجَ فاشتريتَ مالم آمُرْكَ به ، وتركت كلَّ ماأمرتُك به ! قال : يا مولاى ، أنا ناقةٌ وليس فى رُكبتى دماغ ! ١٥

وقال نفيسٌ لغلام لى : الناس ويلَكَ أنت حياء كلّهم أقلّ ! يريد : أنت أقلُّ الناس كلِّهم حياء .

---

(١) زالا ، أى ساقطا هابطا لثقله .

(٢) القائلة : النوم فى الظهيرة . ٢٠

(٣) الصبحة ، بضم الصاد وفتحها : النوم فى الغداة .

(٤) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس لابتغاء معروفهم .

وقلت لنَفيسٍ : ابنُ بُرَيهة [1] هذا الصبىُّ ، فى أىِّ شىءٍ أسلموه ؟ قال : فى أصحاب سِند نعال . يريد أصحاب النّعال السندية .

* * *

وروى الأصمعىُّ وابن الأعرابى ، عن رجالهما ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بِكاءٌ » ، فقال ناس : البُكْءُ : القِلّة . وأصل ذلك من اللبن . ٥ فقد جعل صفة الأنبياء قِلَّة الكلام ، ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلّة الفضول .

قلنا : ليس فى ظاهر هذا الكلام دليلٌ على أنّ القِلّة من عجزٍ فى الخلقة ، وقد يحتمل ظاهرُ الكلام الوجهين جميعاً ، وقد يكون القليلُ من اللفظِ يأتى على الكثير من المعانى . والقِلّة تكون من وجهين : أحدهما من جهة التحصيل ، ١٠ والإشفاق من التكلف ، وعلى تصديق قوله : ﴿ قُلْ ما أَسأَلُكم عليهِ مِنْ أَجْر وَمَا أنَا مِنَ المُتكلِّفِينَ ﴾ ، وعلى البعد من الصنعة ، ومن شدّة المحاسبة وحَصْرِ ٢١٣ النَّفس ، حتى يَصير بالتمرين والتوطين إلى عادةٍ تُناسب الطبيعة.وتَكونُ من جهة العجز ونُقصان الآلة ، وقِلّة الخواطر ، وسوءِ الاهتداء إلى جياد المعانى ، والجهلِ بمحاسن الألفاظ . ألاَ ترى أنّ الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال : ١٥ ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانى ۝ يَفْقَهُوا قَوْلى ۝ وَاجْعَلْ لى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى ۝ هرُونَ أَخِى ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فى أَمْرِى ۝ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۝ إنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ۝ قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسى ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾.

فلو كانت تلك القِلّة من عجزٍ كان النبىُّ ﷺ أحقَّ بمسألة إطلاق تلك العُقدة من موسى ؛ لأنّ العربَ أشدُّ فخراً ببيانها ، وطولِ ألسنتها ، ٢٠

---

(١) ما عدا هـ ، ل : « وقلت لقيس بن بريهة » تحريف . وفى (١ : ١٦٢) « وقلت لخادم لى » . ونفيس هو غلام الجاحظ .

وتصريفِ كلامها ، وشدة اقتدارها . وعلى حسب ذلك كانت زِرايتها [١] على كلِّ مَن قَصّر عن ذلك التمام ، ونَقَص من ذلك الكمال .

وقد شاهدوا النبيَّ ﷺ وخُطَبه الطِّوَال فى المواسم الكبارْ ، ولم يُطِل التماساً للطُّول ، ولا رغبةً فى القدرة على الكثير ، ولكنّ المعانى إذا كثُرت ، والوجوهَ إذا افتنَّت ، كثُر عددُ اللفظ ، وإنْ حُذِفت فُضوله بغاية الحذف . ٥

ولم يكن اللهُ ليعطىَ موسى تمام إبلاغِه شيئاً لا يعطيه محمداً ، والذين بُعِث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيانُ واللَّسَن .

وإنما قلنا هذا لِنَحْسِمَ جميعَ وجوه الشَّغْب ، لا لأنّ أحداً من أعدَائه شاهَدَ هناك طَرَفاً من العجز ! ولو كان ذلك مرئيًّا ومسموعاً لاحتجُّوا به فى الملا ، ولتناجَوا به فى الخلا ، ولتكلم به خطيبُهم ، ولقال فيه شاعرُهم ، فقد عرف الناسُ كثرةَ خطبائهم ، وتسرُّعَ شعرائهم . ١٠

هذا على أنّنا لا ندرى أقال ذلك رسول الله ﷺ أم لم يقله ؛ لأنَّ مثلَ هذه الأخبارِ يُحتاج فيها إلى الخبر المكشوف ، والحديثِ المعروف . ولكنّا بفضل الثِّقة ، وظهور الحُجّة ، نجيب بمثل هذا وشِبهه .

١٥ وقد علمنا أنّ مَن يَقرِض الشعر ، ويتكلَّف الأسجاع ، ويؤلِّف المزدَوِج ويتقدَّم فى تحبير المنثور ، وقد تعمَّقَ فى المَعانى ، وتكلَّفَ إقامةَ الوزن ، والذى تجود ٣١٣ به الطبيعةُ وتعطيه النفس سَهْواً رَهواً [٢] ، مع قلّة لفظه وعدد هجائه — أحمدُ أمراً ، وأحسن موقعاً من القلوب ، وأنفعُ للمستمعين ، من كثيرٍ خرج

(١) ب ، جـ : « ذرايتها » التيمورية : « زرابتها » صوابهما فى ل .

٢٠ (٢) فى اللسان (رها) : « يقال أفعل ذلك سهوا رهوا ، أى ساكنا بغير تشدد » . وفى (سها) : « ومنه الحديث : آتيك به غداً سهوا رهوا ، أى لينا ساكنا » . وانظر ما مضى فى (٢ : ١٣ س ١٠) .

بالكَدِّ والعلاج،ولأنّ التقدُّم فيه ، وجمعَ النفس له ، وحَصْرَ الفكر عليه ، لا يكونُ إلا ممن يحبُّ السُّمعة ويهوَى النَّفْج (١) والاستطالة . وليس بين حال المتنافِسَين ، وبين حال المتحاسِدَين إلاّ حجاب رقيق ، وحِجازٌ ضعيف ، والأنبياءُ بمندوحةٍ من هذه الصفة ، وفى ضدِّ هذه الشِّيمة

وقال عامر بن عبد قيس (٢) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقَعَت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . ٥

وتكلَّم رجلٌ عند الحسن بمواعِظَ جَمَّةٍ ومعانٍ تدعو إلى الرِّقّة ، فلم يُرَ الحسَنُ رقّ ، فقال الحسن : إما أن يكون بنا شرٌّ أو يكونَ بك ! يذهب إلى أنّ المستمع يرِقّ على قدر رِقّة القائل (٣) .

والدليلُ الواضح ، والشاهد القاطع ، قولُ النبى ﷺ : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا (٤) ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » ، وهو القليل الجامع للكثير . وقال الله تعالى وقوله الحقُّ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ثم قال : ﴿ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ ﴾ ثم قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾.فعَمَّ ولم يخصَّ ، وأطلقَ ولم يقيِّد . فمن الخصال التى ذمَّهم بها تكلُّفُ الصَّنْعة ، والخروجُ إلى المباهاة ، والتّشاغلُ عن كثيرٍ من الطاعة ، ومناسبةُ أصحاب ١٠ ٣١١ ١٥

---

(١) النفج : الفخر والكبر .

(٢) سبقت ترجمته وكلمته فى (١ : ٨٣) .

(٣) مضى الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٨٤) .

(٤) نصرت بالصبا ، إشارة إلى ما كان فى غزوة الخندق ، إذ بعث الله على المشركين ريحا عاتية فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم . وفى ذلك يقول أبو سفيان حين الهزيمة مخاطبا قريشا : « يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ماتطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل » . السيرة ٦٨٢ – ٦٨٣ جوتنجن ، وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى (٢ : ١٤٣ – ١٤٦).ونص الحديث فيه وكذا عند البخارى (يوم الخندق) : « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » . وانظر ما مضى فى (٢ : ٢٨ س ٥) . ٢٠

التشديق . ومَن كان كذلك كان أشدَّ افتقاراً إلى السامع من السامع إليه ، لشغَفه أن يُذكَرَ فى البلغاء ، وصَبابته باللَّحاق بالشُّعراء. ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسةُ والمغالبة ، وولَّد ذلك فى قلبه شِدّةَ الحميّة ، وحبّ المجاذبة [١] .

ومن سَخُف هذا السُّخفَ ، وغلَبَ الشّيطانُ عليه هذه الغلبةَ ، كانت حالهُ داعيةً إلى قول الزُّور ، والفخرِ بالكذب ، وصرفِ الرغبة إلى النّاس ، والإفراط فى مديح من أعطاه ، وذمِّ من مَنَعه . فنزّه الله رسولَه ، ولم يعلّمه الكتابَ والحِساب ، ولم يرغّبه فى صنعة الكلام ، والتعبُّدِ [٢] لطلب الألفاظ ، والتكلُّف لاستخراج المعانى ، فجَمع له بالَه كلَّه فى الدعاءِ إلى الله ، والصّبر عليه ، والمجاهدة فيه ، والانبتات إليه [٣] والميل إلى كل ما قرَّب منه ، فأعطاه الإخلاص الذى لا يشُوبه رياء ، واليقينَ الذى لا يَطُورُه شكٌ [٤] ، والعزمَ المتمكّن ، والقوّة الفاضلة .

فإذا رأت مكانةُ الشّعراءُ ، وفهمته الخطباء ، ومَن قد تعبّدَ للمعانى ، وتعوَّدَ نظمها وتنضيدَها ، وتأليفها وتنسيقَها ، واستخراجَها من مدافنها ، وإثارتها من مكامِنها ، علموا أنّهم لا يبلغون بجميع مامَعهم ممّا قد استفرغهم واستغرَقَ مجهودَهم ، وبكثيرٍ ما قد خُوِّلوه ، قليلاً مما يكون معه على البداهة والفُجاءة ، من غير تقدُّمٍ فى طلبه ، واختلافٍ إلى أهله .

وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ، ومع تلك الكُلف والرِّياضات ، لا ينفكُّون فى بعض تلك المقامات مِن بَعض الاستكراه والزَّلل ، ومن

---

(١) المجاذبة : المباراة والمنازعة . ل : « المحاذية » ماعدا ل : « المحاربة » صوابهما ما أثبت من حواشى هـ .

(٢) ب ، حـ : « والتقيد ». وانظر ما مضى فى (٢ : ١٣ س ٧) .

(٣) الانبتات : الانقطاع .

(٤) يطوره : يقرب منه ، ويحوم حوله ، ويدنو .

بعض التعقيد والخَطَل ، ومن التفنُّن والانتشار [١] ، ومن التشديق والإكثار .

ورأوه مع ذلك يقول : « إيّاىَ والتّشادُق » . و:« أبغضكم إلىّ الثّرثارون المتفيهِقُون [٢] » . ثمّ رأوه فى جميع دَهره فى غاية التّسديد والصّوابِ التامّ ، والعصمة الفاضلة ، والتأييد الكريم . علموا أنّ ذلك مِن ثمرة الحِكمة ونِتاج التوفيق ، وأنّ تلك الحكمةَ من ثمرة التقوى ، ونتاج الإخلاص . ٥

وللسَّلف الطيِّب حكَم وخطبٌ كثيرة ، صحيحةٌ ومدخولة ، لا يخفى شأنها على نُقّاد الألفاظ وجهابذةِ المعانى ، متميزةٌ عند الرواة الخُلَّص . وما بَلَغنا عن أحدٍ من جميع الناس أنّ أحداً ولَّد لرسول الله ﷺ خُطبةً واحدة .

فهذا وما قبلَه حُجّةٌ فى تأويل ذلك إن كان حقًّا .

وفى كتاب الله المنزَل ، أنّ الله تبارك وتعالى جعل مَنيحَةَ داودَ الحكمةَ وفصلَ الخطاب ، كما أعطاه إلانَةَ الحديد . ١٠

وفى الحديث المأثور ، والخبر المشهور ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « شُعيبٌ خطيبُ الأنبياء » .

وعلَّم الله سُليمانَ مَنطِقَ الطير ، وكلامَ النمل ، ولغاتِ الجنّ . فلم يكن عزّ وجلّ ليعطيَه ذلك ثم يبتليَه فى نفسه وبيانِه عن جميع شأنه ، بالقلة والمَعْجَزَةِ ، ثم لا تكون تلك القلّة إلاّ على الإيثار منه للقلّة فى موْضعها ، وعلى البعد من استعمال التكلف ، ومناسبة أهل الصّنعة ، والمشغوفين بالسُّمعة . وهذا لا يجوز على الله عزّ وجلّ . ١٥ ٣١٠

فإن كان الذى رويتم من قوله : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بِكاءٌ » على ما تأوّلتم ، وذلك أنّ لفظَ الحديث عامٌّ فى جميع الأنبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان ٢٠

---

(١) التفنن : الاضطراب .

(٢) سبق الحديثان فى (١ : ١٣) .

عليهما السلام ، وحالِ شُعيبٍ والنبى ﷺ ، دليلٌ على بطلان تأويلكم ، وردّ عموم لفظ الحديث .

وهذه جملةٌ كافية لمن كان يريد الإنصاف .

* * *

٥ وكان شيخٌ من البَصريِّين يقول :

إنّ الله إنما جعل نبيَّه أُمِّيًّا لا يكتُب ولا يحسُب ولا ينسِب ، ولا يَقرِض الشِّعر ، ولا يتكلَّف الخَطابة ، ولا يتعمَّد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقهَ وأحكامَ الشريعة ، ويَقصُره على معرفة مصالح الدِّين دونَ ما تتباهى به العرب : من قِيافة الأثر والبشر [١] ، ومن العلم بالأنواء [٢] وبالخيل ، وبالأنساب وبالأخبار ،

١٠ وتكلُّف قولِ الأشعار ، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتَكلَّم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدلَّ على أنه منَ الله .

وزعم أنّ الله تعالى لم يمنعه معرفةَ آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقَصَ حظًّا من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب النَّاسب [٣] ؛ ولكن ليجعله نبيًّا ، وليتولَّى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى . فإنما نَقَصَه ليزيدَه ، ومنعَه ليعطيَه ، وحجَبه

١٥ عن القليل ليجلِّيَ له الكثير .

---

(١) قيافة الأثر : تتبعه لمعرفة صاحبه . وقد عنى بقيافة البشر هنا ما يدعى بالفراسة .

(٢) النوء : سقوط نجم من منازل القمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه المقابل له من ساعته فى كل ليلة ، إلى ثلاثة عشر يوما . وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ، ما عدا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما . فتنقضى جميعاً مع انقضاء السنة . إذ أن منازل القمر ثمان وعشرون منزلة . وإنما سمى نوءاً لأنه إذا

٢٠ سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط . كأنه من الأضداد . وكانت العرب تضيف إلى الأنواء الأمطار والرياح ، ولا تستَنْبِئُ بها كلها ، إنما تذكر بالأنواء بعضها . وأشهرها نوء الثريا والجوزاء والسماكين . انظر تفصيل ذلك من اللسان (نوأ) والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (١ : ١٨٨ ، ١٩٨) والآثار الباقية للبيرونى .

(٣) ما عدا ل : « الحاسب والكاتب ، ومن الخطيب والناسب » .

وقد أخطأ هذا الشيخُ ولم يُرِدْ إلا الخير ، وقال بمبلغ علمِه ومنتهى رأيه . ولو زعم أنّ أداة الحسابِ والكتابة ، وأداةَ قرضِ الشّعر ورواية جميع النَّسَب ، قد كانت فيه تامّة وافرة ، ومجتمعة كاملة ، ولكنه ﷺ صرَف تلك القُوَى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوّة ، وأشبَه بمرتبة الرسالة ، وكان إذا احتاجَ إلى البلاغة كان أبلغَ البلغاء ، وإذا احتاجَ إلى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسبَ من كلّ ناسب ، ٥
وأقْوَف من كل قائف . ولو كان فى ظاهره ، والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب ،
٣١٦ وشاعر ناسب ، ومتفرّس قائف ، ثم أعطاه الله برهاناتِ الرسالة ، وعلاماتِ النبوّة — ما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ، ولُزوم طاعته ، والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه أراد ألاّ يكون للشاغب متعلق عما دعا إليه [١] حتى لا يكون دونَ المعرفة بحقّه حجابٌ وإن رقّ ، وليكون ذلك أخفَّ فى المؤونة ، ١٠
وأسهل فى المِحْنة . فلذلك صرَفَ نفسَه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها . فلما طال هِجْرانُه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانُه لا ينطلِق به [٢] ، والعادةُ توأم الطبيعة . فأما فى غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطَقَ من كل مِنطيق ، وأنسبَ من كل ناسب ، وأقْوَف من كل قائف . وكانت آلته أوفَرَ وأداته أكمل ، إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أردُّ [٣] . ١٥

وبين أن نضيف إليه العجز ، وبين أن نضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له ، فرقٌ .

ومن العَجَب أنّ صاحب هذه المقالة لم يَرَه عليه السلام فى حال مَعجزةٍ قط ، بل لم يره إلاّ وهو إنْ أطَالَ الكلامَ [٤] قصَّر عنه كل مُطيل ، وإن قصّر القولَ

---

(١) ما عدا ل « للشاعر » . و « عما » كذا وردت فى النسخ ، والوجه « بما » أو « فيما » . ٢٠
(٢) ما عدا هـ : « لا ينطق به » .
(٣) فى القاموس : « وهذا ارد : أنفع . ولا رادة فيه : لا فائدة » .
(٤) ل : « طال الكلام »

أتى على غاية كل خطيب ، وماعَدِم منه إلاّ الخطَّ وإقامةَ الشّعر . فكيف ذهب ذلك المذهبَ والظاهرُ من أمره عليه السلام خلاف ما توهّم [١] !؟

* * *

وسنذكر بعضَ ما جاء فى فضل الشعر والخوف منه ، ومن اللسان البليغ والمداراة له ، وما أشبه ذلك .

قال أبو عبيدة : اجتمع ثلاثةٌ من بنى سعد يراجزون بنى جَعْدة ، فقيل لشيخ من بنى سعد : ماعندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُفثِج [٢] .

وقيل لآخر [٣] : ما عندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى اللّيل لا أُنكَف [٤] .

فقيل للآخر الثالث : ما عندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُنْكَش [٥] . فلما سمعت بنو جَعدة كلامَهم انصرفوا وخلّوهم .

قال : وبنو ضرار ، أحدُ بنى ثعلبة بن سعد ، لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراءَ صِبياناً ، وهم : شَمّاخٌ ، ومُزَرِّدٌ ، وجَزْءٌ ، أرادت أمُّهم — وهى أمّ أوس — أن تَزَوَّج رجلاً يسمَّى أوساً ، وكان أوسٌ هذا شاعراً ، فلما رآهُ بنو ضرار بفناء أمّهم للخِطبة ، تناوَلَ شمّاخٌ حَبلَ الدّلو ثم متَح ، وهو يقول :

* أُمُّ أُوَيْس نَكحتْ أُوَيسَا *

وجاء مزرِّدٌ فتناولَ الحبل فقال :

* أعْجَبَها حَدَارَةً وكَيْسَا [٦] *

---

(١) ما عدا ل : « خلاف ما يتوهم » .

(٢) أفثج الرجل : أعيا وانبهر . وحكاه ابن الأعرابى « أفثج » على صيغة فعل المفعول .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « للآخر » .

(٤) كذا ضبط فى هـ . وفى حواشيها : « يقال نكفت الغيث أنكفه ، إذا قطعته » . وفى اللسان : « وفلان بحر لا ينكف ، أى لا ينزح » . وضبطت فى ل : « أنكفّ » مطاوع كفه كفا .

(٥) أنكش ، من قولهم : بحر لا ينكش ، أى لا ينزف .

(٦) الحدارة : الامتلاء واجتماع الخلق فى سمن .

وجاء جزءٌ فتناوَل الحبلَ فقال :

* أصْدَقَ مِنها لَجْبةً وتيسا [١] *

فلما سمع أوسٌ رجزَ الصِّبيان بها هرب وتركها .

* * *

قال أبو عبيدة : كان الرجلُ من بنى نُمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : نُميرىّ كما ترى ! فما هو إلاّ أن قال جَرِيرٌ :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فلا كَعباً بلغْتَ ولا كِلابا [٢]

حتّى صار الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى عامر [٣] !

قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وسوف يزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجائى كما وَضع الهِجاءُ بَنِى نُميرِ [٤]

فلما هجاهم أبو الرُّدَينىّ العكلىّ [٥] فتوعَّدوه بالقتل قال أبو الرُّدينى :

تَوَعَّدُنى لِتقْتُلَنى نُميرٌ متى قَتلت نُميرٌ من هَجاها [٦]

فشدَّ عليه رجل منهم فقتله .

* * *

---

(١) يقال أصدق المرأة : جعل لها صداقا . واللجبة ، مثلثة ، ومثله اللجَبة ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، وبكسر ففتح : الشاة القليلة اللبن .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٦٤ — ٨٠ يهجو فيها الراعى النميرى . وانظر العمدة (١ : ٢٦) والحيوان (١ : ٣٥٨ ، ٣٦٤) والأغانى (٢٠ : ١٦٩) . وكعب وكلاب ، هما ابنا ربيعة بن صعصعة . المعارف ٣٩ والاشتقاق ١٧٥ .

(٣) نمير ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وهم إخوة كعب وكلاب . المعارف ٣٩ والاشتقاق ١٧٩ .

(٤) البيت فى الحيوان (١ : ٣٦٤) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٢) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أتوعدنى » ، وهى رواية الحيوان (١ : ٣٦٤) والأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ما هُجِيت به ما لقيت نميرٌ من بيت جرير . ويزعمون أنّ امرأةً مرّت بمجلسٍ من مجالس بنى نُمير ، فتأمَّلها ناسٌ منهم فقالت : يا بنى نمير ، لا قولَ الله سمعتم ، ولا قولَ الشاعر أطعتم ! قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم ﴾ ، وقال الشاعر :

٥ فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُميرٍ ... فلا كَعْباً بَلغتَ ولا كِلابا

وأخلِقْ بهذا الحديث أن يكون مولَّداً ، ولقد أحسن من وَلَّده [١] .

وفى نُميرٍ شرف كثير . وهل أهلك عَنَزَة ، وجَرْماً ، وعُكْلاً ، وسَلولَ ، وباهلة ، وغَنِيًّا ، إلاّ الهجاء ؟!

وهذه قبائلُ فيها فضلٌ كثيرٌ وبعضُ النقص . فمحَقَ ذلك الفضلَ كلَّه ١٠ هجاءُ الشعراء . وهل فَضَح الحَبَطاتِ [٢] ، مع شرف حَسَكة بن عَتَّاب [٣] ، وعبَّادِ بن الحصين [٤] وولدِه ، إلاّ قولُ الشّاعر [٥] : ٣١٨

---

(١) الخبر فى العمدة (١ : ٢٦) .

(٢) الحبطات ، بفتحتين : أبناء الحبط بفتح فكسر ، وهو الحارث بن عمرو بن تميم بن مر . الاشتقاق ١٢٤ والمعارف ٣٥ . وضبط فى هـ بكسر الباء .

١٥ (٣) فى الاشتقاق ٣٢٩ : « وحسكة بن عتاب ، أحد فرسان بنى تميم بخراسان فى الإسلام ، له ذكر وصيت » .

(٤) فى الاشتقاق ١٢٤ . « فمن رجال الحبطات : عباد بن الحصين فارس بنى تميم فى دهره غير مدافع » . وفى الأغانى (١٤ : ١٠٣) أن عباد بن الحصين كان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، الملقب بالقباع – وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كما فى الشعراء ٣٥٣ – فامتدح زياد الأعجم عباد ٢٠ ابن الحصين وطلب إليه حاجة فلم يقضها ، فقال زياد :

سألت أبا جهضم حاجة ... وكنت أراه قريبا يسيرا
فلو أننى خفت منه الخلا ... ف والمنع لى لم أسَلْه نقيرا
وكيف الرجاء لما عنده ... وقد خالط البخل منه الضميرا
أقلنى أبا جهضم حاجتى ... فإنى امرؤ كان ظنى غرورا

٢٥ (٥) هو زياد الأعجم . والبيت التالى من أبيات أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادى فى الخزانة (٤ : ٢٨٠) .

رأيتُ الحُمْرَ مِن شَرِّ المطايا ... كما الحَبَطاتُ شَرُّ بنى تَميم [١]

وهل أهلك ظُلَيمَ البَراجِمِ إلاّ قولُ الشاعر :

إنَّ أباناً فَقْحة لِدارِمِ ... كما الظُّلَيمُ فَقحَةُ البَراجم [٢]

وهل أهلك بنى العَجْلان إلاّ قولُ الشاعر [٣] :

إذا اللهُ عادَى أهلَ لُؤمٍ ورِقَّةٍ ... فعادَى بنى العَجلانِ رَهطَ ابنِ مُقبِلِ ٥

قُبَيِّلَةٌ لا يَغدِرون بِذِمَّةٍ ... ولا يظلِمُون النَّاسَ حَبَّةَ خَردل

ولا يَرِدُونَ الماءَ إلاَّ عَشيَّةً ... إذَا صدر الوُرَّادُ عَن كلِّ مَنهلِ

وأمّا قول الأخطلِ :

وَقد سرَّنى مِن قيسِ عَيلانَ أنَّنِى ... رأيتُ بنى العَجلانِ سادُوا بنى بَدرِ [٤]

فإنّ هذا البيتَ لم ينفع بنى العجلان ، ولم يضرَّ بنى بدر . ١٠

* * *

(١) ضبطت « الحبطات » فى هـ بكسر الباء . وانظر ماسبق . وقبله :

وأعلم أننى وأبا حميد ... كما النشوان والرجل الحليم

أريد حباءه ويريد قتلى ... وأعلم أنه الرجل اللئيم

(٢) البيت فى الحيوان (١ : ٣٦٣) . وفيه : « إن مناقا » . وأبان ، من ولد دارم بن مالك بن حنظلة . وإخوته مجاشع ، ونهشل ، وجرير ، ومناف ، وسدوس ، وخيبرى . الاشتقاق ١٤٣ . والظليم ، بهيئة التصغير من البراجم . والبراجم خمسة من أبناء حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قالوا : نجتمع اجتماع براجم الكف . وهم قيس ، وكلفة ، وظليم ، وغالب ، وعمرو . الاشتقاق ١٣٤ والمعارف ٣٤ . ١٥

(٣) هو النجاشى الشاعر ، الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٣٩) . وانظر خبر الشعر فى مجالس ثعلب ٤٣١ والعمدة (١ : ٢٧) وزهر الآداب (١ : ١٩) . ٢٠

(٤) البيت فى ديوان الأخطل ١٢٩ . وبنو العجلان ، هم بنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . المعارف ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ . وبدر بن عمرو . بطن من فزارة ، كما فى القاموس (بدر) ، وهم من بنى ثعلبة ابن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . المعارف ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٥ . ٢٥

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى أنف النّاقة (١) إذا قيل له : ممن الرجل قال : من بنى قُرَيع ، فما هو إلا أن قال الحُطَيئة :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غَيرُهُم ومَن يُسَاوِى بأَنِفِ النَّاقةِ الذَّنبا (٢)

وصار الرّجل (٣) منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بنى أنْف الناقة .

٥

* * *

وناسٌ سلموا من الهجاء بالخمول والقلّة ، كما سلمت غسّانُ وغَيلانُ مِن قبائل عمرو بن تميم ، وابتليت الحَبَطاتُ لأنّها أنْبَه منها شيئاً .

والنباهة التى لا يضرُّ معها الهجاء مثل نباهة بنى بدر وبنى فزارة ، ومثل نباهة بنى عُدُس بن زيد وبنى عبد الله بن دارم ، ومثل نباهة الدّيّان بن عبد المدان

١٠ وبنى الحارث بن كعب ، فليس يسلم من مضرّة الهجاء إلا خاملٌ جدًّا أو نبيه جدًّا .

* * *

وقد هُجيتْ فزارة بأكل أير الحِمار (٤) ، وبكثرة شَعر القفا ؛ لقول الحارث ابن ظالم :

فما قوْمِى بثَعْلبةَ بنِ سَعِدٍ ولا بفَزارَةَ الشُّعرِ الرِّقَابا (٥)

---

(١) بنو أنف الناقة من بنى قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، المعارف ٣٦ ،

١٥ ٣٧ ، والاشتقاق ١٥٦ . قال ابن دريد : « وفيهم شرف وعدد . وسمى بذلك لأنه أكل رأس ناقة » ، وفى أول شرح ديوان الحطيئة للسكرى أن أنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف ، وأنه سمى قريعا لأنه نحر جزوراً فقسمها بين نسائه فبعثت جعفراً هذا أمه — وهى الشموس ، من بنى وائل — فأتى وقد قسم الجزور فلم يبق إلا رأسها وعنقها . فقال : شأنك ! فأدخل يده فى أنفها وجعل يجرها ، فسمى أنف الناقة .

(٢) البيت فى ديوانه ، من قصيدة يمدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن جعفر أنف الناقة

٢٠ بن قريع . وانظر الاشتقاق ١٥٦ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(٣) ل ، هـ : « صار » بدون واو .

(٤) انظر الخزانة (١ : ٣٩٥) وسمط اللآلىء ٨٦٠ وشروح سقط الزند ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٥) وكذا فى كتاب سيبويه (١ : ١٠٣) . وفى الإنصاف ٨٤ : « فما قومى بثعلبة بن بكر » . والشعر : جمع أشعر ، وهو الكثير الشعر الطويلهُ .

ثم افتخر مفتخرهُم بذلك ومدحهم به الشاعر ، فقال مُزَرِّدُ بنُ ضِرار [(١)] :

مَنيعٌ بين ثَعلبةَ بنِ سعدٍ ... وبين فَزارةَ الشُّعرِ الرِّقابِ

فما مَنْ كانَ بينهما بِنِكْسٍ ... لَعَمْرُكَ فى الخطوبِ ولا بِكابِ [(٢)]

وأمّا قصّة أير الحمار فإنما اللوم على المُطْعِمِ لرفيقه مالا يعرفُه . فهل كان على حَذَفٍ الفزاريِّ [(٣)] فى حقِّ الأنفة أكثرُ مِن قتلِ مَن أطعَمَه الجُوفانَ من حيثُ لا يدرى [(٤)] ؟!

فقد هُجوا بذلك وشرفُهم وافر . وقد هُجيت الحارثُ بن كعب ، وكتبَ الهيثمُ بن عديٍّ [(٥)] فيهم كتاباً فما ضعضع ذلك منهم ، حتى كأنْ قد كتبه لهم .

ولولا الرَّبيع بن خُثَيم ، وسفيانُ الثَّورىّ ما عَلِمَ الناسُ أنَّ فى الرِّباب حياً يقال لهم بنو ثَور .

وفى عُكلٍ شعرٌ وفصاحة ، وخيلٌ معروفةُ الأنساب ، وفُرسانٌ فى الجاهلية والإسلام . وزعم يونسُ أنّ عكلاً أحسنُ العرب وجوهاً فى غِبِّ حرب . وقال بعضُ فتّاك بنى تميم :

خليلِى الفَتى العُكلىُّ لم أرَ مِثلَه ... تَحَلَّبُ كفّاهُ نَدًى شائع القِدْرِ

كأنّ سُهيلاً ، حين أُوْقَدَ نارَهُ ... بعَلياءَ ، لا يَخفَى على أحدٍ يَسْرى

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٤) .

(٢) النكس ، بالكسر : الرجل الضعيف ، والمقصر عن غاية الجود والكرم . والكابى ، من الكبوة ، وهى مثل الوقفة تكون عند الشىء يكرهه الإنسان يدعى إليه أو يراد منه .

(٣) كلمة « حذف » ساقط من جميع النسخ عدا هـ . وانظر الاشتقاق ١٧٣ أولى ٢٨٥ بتحقيقنا وسمط اللآلى ٨٦٠ حيث صرحا باسمه .

(٤) الجوفان ، بالضم : أير الحمار .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦ ، ٣٤٧) .

ولم أكتب هذا الشعرَ ليكون شاهداً على مقدار حظِّهم فى الشرف ، ولكن لنضمَّه إلى قول جِرانِ العَود :

أُراقِبُ لَمْحاً مِن سُهَيْلٍ كأنَّه إذا ما بدا من آخِرِ الليل يَطرفُ [(١)]

وربما أُتيت القبيلة إذا برَّزَتْ عليها إخوتُها ، كنحو فُقَيْم بن جَرير بن

٥ دارمٍ ، وزيد بن عبد الله بن دارم ، وكنحو الحِرمازِ ومازِن . ولذلك يقال : إنّ أصلحَ الأمورِ لمن تكلّفَ علم الطبّ ألاّ يحسن منه شيئاً ، أو يكونَ من حُذّاق ٣٢٠ المتطبِّبين ؛ فإنه إن [(٢)] أحسنَ منه شيئاً ولم يبلغ فيه المبالغَ هلكَ وأهلَكَ أهلَه . وكذلك العِلمُ بصناعة الكلام . وليس كذلك سائرُ الصناعات ؛ فليس يضرّ مَن أحسنَ بابَ الفاعل والمفعول به ، وبابَ الإضافة ، وبابَ المعرفة والنكرة ، أن يكونَ

١٠ جاهلاً بسائر أبواب النَّحو . وكذلك مَن نظر فى عِلم الفرائض ، فليس يضرُّ مَن أحكم باب الصُّلب أن يجهل باب الجَدّ ، وكذلك الحِساب . وهذا كثير .

وذكروا أن حَزن بن الحارث ، أحد بنى العنبر [(٣)] ولد مِحْجناً ، فولد مِحجنٌ شعيثَ بن سهم ، فأُغير على إبله ، فأتى أوسَ بن حجرٍ يستنجده ، فقال له أوس : أوَ خيرٌ من ذلك ، أحضّض لك قيس بن عاصم ! وكان يقال إن حزن

١٥ ابن الحارث هو حزن بن منقر . فقال أوس :

سائل بها مولاكَ قيسَ بنَ عاصمٍ فمولاكَ مَوْلَى السَّوءِ إنْ لم يُغيِّرِ [(٤)]

---

(١) وكذا جاءت روايته فى الحيوان (٣ : ٥٢ / ٥ : ٥٩٨) . وفى ديوانه ٨ : « أراقب لوحا » وقد أشير إليها فى حواشى هـ عن نسخة . واللوح : البريق . والدجية : واحدة الدجى ، وهى ظلمات الليل . وسهيل يطلع من آخر الليل فلا يمكث إلا قليلا حتى يسقط ، فهو يطرف كما تطرف العين . ماعدا ل :

٢٠ « من آخر الليل » .

(٢) ماعدا ل ، هـ : « إذا » .

(٣) ل : « العشير » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) الأبيات مما لم يرو فى ديوان أوس بن حجر . والتغيير ، أصل معناه أعطاء الدية ، لأنها بدل من القتل . ولعله أراد بالتغيير التعويض عن تلك الإبل المسلوبة .

لعمرُكَ ما أدرِى أمِنْ حَزْنِ مِحجَنٍ شُعَيثُ بن سهمٍ أم لِحَزنِ بن مِنقرِ (١)
فما أنتَ بالمولى المضيَّعِ حقُّه وما أنتَ بالجارِ الضعيفِ المُستَّرِ

فسعى قيسٌ فى إبله حتى ردَّها على آخرها (٢) .

وقال الآخر (٣) :

ألْهَى بَنى تغلبٍ عن كلِّ مَكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كُلثومِ (٤) ٥

ومما يدلُّ على قدر الشعر عندهم بُكاء سيِّد بنى مازنٍ ، مخارق بن شهابٍ (٥)

---

(١) هذا البيت يرويه النحويون منسوباً إلى الأسود بن يعفر ، بهذه الرواية :

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر

يجعلونه شاهداً لمنع شعيث الصرف لضرورة الشعر ، أو حملا على اسم القبيلة ، وشاهداً كذلك لحذف همزة الاستفهام قبله ، وذلك لدلالة « أم » عليها ، والتقدير : « أشعيث » . انظر سيبويه (١ : ٤٨٥) وشرح شواهد ١٠ المغنى للسيوطى ٥١ وشرح الأشمونى للألفية فى باب العطف .

(٢) ما عدا ل : « عن آخرها » . و « على » توضع موضع عن ، كقوله :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

وقوله :

فى ليلة لا نرى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبها

(٣) فى الأغانى (٩ : ١٧٦) أنه بعض شعراء بكر بن وائل . وفى الاشتقاق ٢٠٤ أولى ، ٣٣٩ ثانية : ١٥ « شاعر من بنى جشم » . وفى المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٤٧٨ أنه : « الموج التغلبى » .

(٤) فى الكامل ٩٣ ليبسك : « ألهى بنى جشم » . ويلى هذا البيت فى الكامل والاشتقاق والشعراء ١٨٨ :

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسئوم

وفى الأغانى :

يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم ٢٠

وبعدهما فى الكامل فقط :

إن القديم إذا ما ضاع آخره كساعد فلّه الأيام محطوم

وهذه القصيدة هى معلقته النونية ، وكان قام بها خطيباً فى سوق عكاظ ، وقام بها فى موسم مكة . وكانت بنو تغلب تعظمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم ، حتى هجوا بذلك .

(٥) الخبر فى الحيوان (١ : ٣٦٤) . ومخارق بن شهاب هذا أحد بنى خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم . ٢٥ ذكره القالى فى ذيل أماليه ص ٥٠ وروى له شعراً . وفى الإصابة ٨٣١٠ : « مخارق بن شهاب بن قيس التميمى ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى . قلت : هو شاعر مخضرم لا إسلامى » . انظر الحيوان (٥ : ٤٨٩) .

حين أتاه محرز بن المُكَعْبَرِ العنبرىُّ [(١)] الشاعر فقال : إنّ بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسعَ لى فيها ؟ فقال : وكيف وأنت جار وَرْدانَ بنِ مَخْرَمة ؟ فلما ولّى عنه محرزٌ محزوناً [(٢)] بكى مخارقٌ حتى بلَّ لحيته ، فقالت له ابنتُه : ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى وقد استغاثنى شاعرٌ من شعراء العرب فلم أُغِثْه ؟ والله لئن هجانى ليَفضَحَنّى قولُه ، ولئن كفَّ عنى ليَقتلنّى شكرُهُ ! ثم نهض فصاح فى بنى مازِنٍ ، فرُدّت عليه إبله . وذكر وَرْدانَ الذى كان أخفره [(٣)] فقال :

أقولُ وقد بُزَّتْ بتِعْشارَ بَزّةً	لوَرْدانَ جِدَّ الآنَ فيها أو العَبِ [(٤)]
فعَضَّ الذى أبقَى المَواسى مِن آمّهِ	خفيرٌ رآها لم يُشمِّرْ ويَغضَبِ [(٥)]
إذا نزَلَتْ وَسْطَ الرِّبابِ وحولَها	إذا حُصِّنَتْ ألْفَا سِنانٍ مُحَرَّبِ [(٦)]
حَمَيتَ خُزاعيًّا وأفناءَ مازِنٍ	و وَرْدانُ يَحمِى عن عَدِىِّ بنِ جُندَبِ [(٧)]
ستَعرِفُها وِلدانُ ضَبّةَ كلُّها	بأعيانِها مردودةً لم تُغَيَّبِ

٣٢١

* * *

---

(١) صوابه « الضبى » . وهو محرز بن المكعبر الضبى ، من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . المرزبانى ٤٠٥ والأغانى (١٥ : ٧٤) . والمكعبر ، يقال بكسر الباء ، وربما قيل بفتحها . انظر شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٣٨ بولاق) والمبهج لابن جنى ٣٦ .

(٢) محزونا ساقطة من ل ، هـ .

(٣) أخفره : نقض عهده وخاس به .

(٤) بزت : سلبت ، يعنى إبله . وبزة ، أى قسراً . وفى اللسان : « وحكى عن الكسائى : لن يأخذه أبداً بزة منى ، أى قسراً » . وتعشار ، بكسر التاء : ماء لبنى ضبة ، كما فى معجم البلدان . ل : « بتعثار » ، ما عدا ل : « بتعسار » صوابهما ماأثبت من هـ .

(٥) أعضه بهن أمه . والمواسى : جمع موسى ، وهى تلك الحديدة التى يحلق ويختن بها .

(٦) ما عدا ل : « إذا حضنت » . والسنان المحرب : المحدد المذرب . وقد أنشده فى اللسان (حرب) بدون نسبة ، بهذه الرواية :

سيصبح فى سرح الرباب وراءها ... إذا فزعت ألفا سنان محرب

(٧) خزاعى ومازن : قبيلتان . وأفناء القبائل : النزّاع من ها هنا وها هنا .

قال : وفد رجلٌ من بنى مازن [١] على النعمان بن المنذر ، فقال له النُّعمان : كيف مخارقُ بنُ شِهابٍ فيكم ؟ قال : سيِّد كريم ، وحسبك من رجل يمدحُ تَيْسَه [٢] ويهجو ابنَ عمِّه ! ذهب إلى قوله :

تَرَى ضَيْفَها فيها يَبِيتُ بِغِبطةٍ ... وجارُ ابنِ قَيسٍ جائعٌ يتحوَّبُ [٣]

٥

* * *

وقال : ومن قدر الشِّعر وموقعِه فى النَّفع والضَّرِّ ، أنّ ليلَى بنتَ النضْرِ بن الحارث بنِ كَلَدَة [٤] لمّا عَرَضت للنبىِّ ﷺ وهو يطوفُ بالبيت

---

(١) المازنى هذا هو ابن قيس المازنى ، كما فى الحيوان (٥ : ٤٩٠) وعيون الأخبار (٢ : ٧٧) والعمدة (٢ : ٣٢) .

١٠ (٢) فى الأصول : « نفسه » ، تحريف . والوجه ما أثبت من الحيوان وعيون الأخبار والعمدة . وذلك أن مخارق بن شهاب قال شعراً مدح فيه تيسا له ، أنشده الجاحظ وابن قتيبة ، وهو :

وراحت أصيلانا كأن ضروعها ... دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة ... شدخ ولون كالوذيلة مذهب

وعينا أحم المقلتين وعصمة ... ثنى وصلها دان من الظلف مكثب

١٥ إذا دوحة من مخرف الضال أربلت ... عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب

تلاد رقيق الخد، إن عد نجره ... فصردان نعم الجار منه وأشعب

أبو الغر والحو اللواتى كأنها ... من الحسن فى الأعناق جزع مثقب

إذا طاف فيها الحالبان تقابلت ... عقائل فى الأعناق منها تحلب

ثم قال يهجو ابن عمه :

٢٠ ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة ... وضيف ابن قيس جائع يتحوب

(٣) يتحوب : يتوجع .

(٤) انفرد الجاحظ بنسبة الشعر التالى إلى ليلى بنت النضر . وأصح الأقوال وأشهرها أن صاحبة الشعر هى « قتيلة » . واختلف الرواة فيها ، فذكر ابن إسحاق فى السيرة ٥٣٩ وأبو الفرج فى الأغانى (١ : ٩) والحصرى فى زهر الآداب (١ : ٢٧) وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠٠) أنها « بنت الحارث » فهى

٢٥ أخت النضر بن الحارث . وفى العمدة (١ : ٣٠) والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء ومعجم البلدان (الأثيل) ، وحماسة البحترى ٤٣٤ أنها « قتيلة بنت النضر بن الحارث » . قال البحترى : « وكانت حازمة ذات رأى وجمال ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يتروجها حتى كان من أبيها ما كان » . وانظر العقد (٣ : ٢٦٥) طبع لجنة التأليف .

واستوقفته وجذبت رداءَ حتى انكشف مَنْكِبه ، وأنشدَتْه شِعرَها بعد مقتل أبيها (١) ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كنتُ سمعتُ شعرها هذا ما قتلته ! » .

والشعر (٢) :

يا راكباً إنّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ موفَّقُ (٣)

أَبلغْ بها مَيْتاً بأنّ قصيدةً ... ما إنْ تَزالُ بها الركائبُ تَخْفِقُ (٤)

فليسمعَنَّ النَّضْرُ إنْ ناديتُهُ ... إن كان يَسمعُ ميِّتٌ لا يَنطِقُ (٥)

ظلَّت سيوفُ بنى أبيهِ تُنوشُه ... للهِ أرحامٌ هُناكَ تَشقَّقُ (٦)

قَسْراً يُقادُ إلى المنيّةِ مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهْو عانٍ مُوثَق (٧)

أمُحَمَّدٌ ها أنتَ ضَنْءُ نَجيبَةٍ ... فى قومِها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ (٨)

ما كانَ ضرَّكَ لوْ مَنَنْتَ ورُبَّما ... مَنَّ الفتى وهْوَ المَغيظُ المُحْنَقُ (٩)

فالنَّضر أقربُ مَن تركتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عتقٌ يعتَقُ (١٠)

* * *

---

(١) قتل النضر بن الحارث يوم مرجع النبى ﷺ من بدر ، أمر عليا بضرب عنقه صبراً ، وهو بالصفراء .

(٢) الأبيات التالية فى جميع المراجع المتقدمة قال أبو الفرج : « فيقال إن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه » .

(٣) الأثيل ، بهيئة التصغير : عين ماء بين بدر ووادى الصفراء . ويقال له أيضاً « ذو أثيل » . من صبح خامسة ، أى فى صبح ليلة خامسة . يعنى ما بينها وبين قبو من مسافة

(٤) وكذا روايته فى السيرة . ويروى : « أبلغ به ميتاً » و « بلغ به ميتاً » فالتأنيث لأنها عين ماء ، والتذكير للموضع . والركائب : الإبل . تخفق : تضطرب .

(٥) يروى : « هل يسمعن النضر » و « هل يسمعنى النضر » .

(٦) تنوشه : تتناوله وتأخذه .

(٧) فى السيرة : « صبراً يقاد » . العانى : الأسير .

(٨) الضنء ، بفتح الضاد وكسرها : الولد .

(٩) المحنق : الشديد الغيظ . وأنشده فى مقاييس اللغة واللسان (حنق) .

(١٠) هذا البيت فى ل فقط . وهو يطابق رواية الإصابة . وفى الحماستين والبلدان : « والنضر أقرب من أصبت وسيلة » ، وفى العمدة : « من قتلت وسيلة » ، وفى الأغانى : « من أخذت بزلة » .

قال : ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبِّ عليهم ، وتخوّفهم أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب ، ويسبَّ به الأحياءُ والأموات ، أنهم إذا أسَرُوا الشاعر أخذوا عليه المواثيقَ ، وربما شدُّوا لسانه بِنِسْعَةٍ ، كما صنعوا بعبدِ يغوثَ بن وقّاصٍ الحارثىّ (١) حين أسرته بنو تَيم (٢) يوم الكُلاب . وهو الذى يقول :

أَقُولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ ... أَمَعشَرَ تَيمٍ أطلِقوا من لسانِيا (٣)

وتَضْحَكُ مِنِّى شَيخةٌ عَبشَمِيّةٌ ... كأَنْ لم تَرَىْ قبلى أسيراً يمانِيا (٤)

كأنِّىَ لم أركبْ جَواداً ولم أَقُلْ ... لخيلى كُرِّى كَرَّةً عن رِجالِيا (٥)

فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... نَداماىَ مِنْ نَجْرانَ أنْ لا تلاقِيا (٦)

أَبا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيهما ... وقيساً بأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمانِيا (٧)

وكان سألهم أن يُطلِقوا لسانَه لينوحَ على نفسه ، ففعلوا ، فكان ينوح بهذه الأبيات ، فلما أنشد قومَه هذا الشِّعر قال قَيس : لبّيكَ وإن كنت أخَّرتَنى .

* * *

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « المحاربى » تحريف . وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٦٧) حيث أنشد الجاحظ بعض أبيات القصيدة ، وهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقّل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن (الحارث) بن كعب .

(٢) ل : « بنو تميم » صوابه فى سائر النسخ ، وكما هو فى نص البيت الأول من مقطوعته هنا .

(٣) النسعة ، بالكسر : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . فقيل : إنهم بعد أسره شدوا لسانه بنسعة ليمنعوه الكلام . وقيل : أراد أنهم فعلوا ما منع لسانه من أن ينطق بمديحهم .

(٤) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . وانظر بقية الكلام على هذا البيت فيما مضى فى (٢ : ٢٦٨) .

(٥) فى المفضليات (١ : ١٥٦) : « كرى نفسى عن رجاليا » .

(٦) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهى مكة والمدينة وما حولهما .

(٧) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة بن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر كامل ابن الأثير فى (يوم الكلاب الثانى) . وقيس ، هو ابن معديكرب ، وهو والد الأشعث بن قيس .

وقيل لِعُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عتبة بن مَسعودٍ [١] : كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك ؟ فقال : « لابد للمصدور من أن ينفُث [٢] » .

وقال مُعاويةُ لِصُحَارٍ العبدىّ : ما هذا الكلامُ الذى يظهر منكم ؟ قال : شئ تجيش به صدورُنا فتقذفُه على ألسنتنا .

٥ وقال ابنُ حرْب [٣] : من أحسَنَ شيئاً أظهره .

وفى المثل : من أحَبَّ شيئاً أكثر من ذِكره [٤].

وقال : خاصم أبو الحُوَيرِثِ السُّحَيْمِىُّ حمزةَ بنَ بِيض [٥] إلى المُهاجرِ ابن عبدِ الله [٦] فى طَوِىّ له [٧] فقال أبو الحويرث :

غَمَضْتُ فى حاجةٍ كانَتْ تُؤَرِّقُنى ... لولا الّذِى قُلتَ فِيها قَلَّ تغمِيضِى ٣٢٣

١٠ قال : وما قلتُ لك فيها ؟ قال :

حَلفتَ باللهِ لى أنْ سوف تُنصِفُنى ... فساغَ فى الحلقِ ريقٌ بَعد تجريضِ [٨]

قال : وأنا أحلفُ بالله لأُنصفنّك . قال :

فاسأَلْ أُلَى عن أُلَى أنْ ما خُصومتُهم ... أم كيف أنتَ وأصحابُ المَعاريضِ [٩]

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٦) .

١٥ (٢) انظر (٢ : ٩٧) . وأنشد فى المختار من شعر بشار وحواشيه ١٤٦ :

لابد للمصدور أن ينفثا ... وللذى فى الصدر أن يبعثا

(٣) هو سماك بن حرب ، المترجم فى (٣ : ٤٢٠) .

(٤) هـ : « أكثر ذكره » .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٦٩) . وروى أبو الفرج هذا الخبر فى (١٥ : ١٧ — ١٨) .

٢٠ (٦) هو المهاجر بن عبد الله الكلابى ، وكان واليا على اليمامة ، كما فى الأغانى .

(٧) الطوى : البئر المطوية بالحجارة والبناء .

(٨) التجريض : لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وفيها الجرض والجريض ، وهو الغصص بالريق .

(٩) ألى بالقصر : لغة لبنى تميم فى ألاء ، من أسماء الإشارة . أنشد يعقوب :

ألالك قومى لم يكونوا أشابة ... وهل يعظ الضليل إلا ألالكا

٢٥ والمعاريض : كل ما عرض به من الكلام ولم يصرح .

قال : أُوجِعُهم ضرباً . قال :

فاسأَلْ لُجَيْماً إذا وافاكَ جمعُهمُ هل كان بالبئرِ حوضٌ قبلَ تحويضى [١]

قال : فتقدمت الشهود فشهدت لأبى الحُويرث . قال : فالتفت إلى ابن بِيضٍ فقال :

أنت ابنُ بِيضٍ لعَمرى لستُ أُنكرُه حقاً يقيناً ولكن مَن أبو بِيضِ ٥

إن كنتَ أَنبضْتَ لى قوساً لِترمِيَنِى فقد رميتُكَ رمياً غيرَ تَنبيضِ [٢]

أو كنتَ خَضخَضتَ لى وَطْباً لتسقِيَنى فقد سقيتُكَ وَطباً غير مَمخُوضِ [٣]

إنَّ المُهاجِرَ عَدْلٌ فى حكُومَتِهِ والعدلُ يَعدِلُ عندى كلَّ عِرِّيضِ [٤]

* * *

قال وتزوّج شيخ من الأعراب [٥] جارية من رهطه ، وطَمِعَ أن تلِدَ له غُلاماً ١٠ فولدتْ له جاريةً ، فهجَرَها وهجر منزلها ، وصار يأْوِى إلى غير بيتِها ، فمرَّ بخبائها بعد حولٍ وإذا هى ترقّص بُنَيَّتَها [٦] منه وهى تقول :

ما لِأَبى حَمزَةَ لا يَأْتِينا يَظَلُّ فى البيتِ الذى يَلِينا

غَضْبانَ أن لا نَلِدَ البَنِينا تاَللّهِ ما ذلكَ فى أَيْدِينا

وإنَّما نأْخُذُ ما أُعْطِينا ١٥

---

(١) فى الأغانى : « وسل سحيما » . وسحيم قبيلة أبى الحويرث ، من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب ابن على بن بكر بن وائل . الاشتقاق ٢٠٩ . فالروايتان صحيحتان .

(٢) الإنباض والتنبيض : أن يجذب الوتر من القوس ثم يرسله ليرنّ ، يفعلون ذلك فى الإبعاد والإرهاب . وأنشد مثله فى اللسان :

لئن نصبت لى الروقين معترضا لأرمينك رميا غير تنبيض ٢٠

(٣) الوطب : السقاء . والخضخضة : التحريك .

(٤) يعدل : يساوى . والعِرِّيض : الذى يتعرض للناس بالشر . ما عدا ل : « كل تعريض » .

(٥) سبق فى (١ : ١٨٦) أنه « أبو حمزة الضبى » .

(٦) ل : « ترقص ابنتها » فقط .

فلما سمع الأبياتَ مرَّ الشيخُ نحوهما حُضْراً حتى ولَج عليهما الخباء [١] ٣٢٤ وقبّل بُنيَّتَها وقال : ظلمْتكما وربِّ الكعبة !

* * *

وقال مُسلم بن الوليد [٢] :

٥ فإنّى وإسماعيلَ عند فِراقِنا — لكالجفنِ يومَ الرَّوعِ فارقَه النَّصْلُ
أمُنتجِعاً مَرْواً بأثقالِ هَمِّهِ — دعِ الثِّقْلَ واحمِلْ حاجةً مالها ثِقْلُ
ثناءً كعَرْفِ الطِّيبِ يُهْدَى لأهلِهِ — وليسَ لهُ إلاّ بَنى خالدٍ أهلُ [٣]
فإن أغشَ قوماً بعدهم أو أزُرْهُمُ — فكالوَحْشِ يُدْنيها من الأنسِ المَحْلُ

وقال ابن أبى عُيَينةَ [٤] :

١٠ هلْ كنتَ إلاّ كلحْمِ مَيْتٍ دعا إلى أكلِهِ اضْطِرارُ [٥]

وقال الآخر :

لئن حَبَس العَباسُ عنَّا رَغيفَهُ لَمَا فاتنا من نعمةِ اللهِ أكثرُ

* * *

وقال أبو كعبٍ : كان رجل يُجرى على رجلٍ رغيفاً فى كلِّ يوم ، فكان
١٥ يقول إذا أتاه الرَّغيف [٦] : لعنَكَ اللهُ ولعَنَ مَنْ بَعَثَك ، ولعنَنى إن تركتُك حَتَّى أُصِيبَ خيراً منك .

---

(١) ما عدا ل : « عليها الخباء » .

(٢) ل : « وقال مسلم » فقط . والأبيات فى ملحقات ديوان مسلم بن الوليد ٢٨٤ . وانظر أمالى القالى (١ : ١٦٧) وزهر الآداب (٣ : ٢١٥ / ٤ : ١٣٣) . وتاريخ بغداد (١٣ : ٩٨) والشعراء ٨٠٩ .
٢٠ وإسماعيل هذا ، من أبناء خالد البرمكى ، كما يظهر من الأبيات هنا ، ومن قوله :

له هضبة تأوى إلى ظل برمك — منوط بها الآمال أطنابها السبل

(٣) هم بنو خالد بن برمك .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، وهو أخو ابن أبى عيينة المترجم فى (١ : ٥٠) .

(٥) البيت من أبيات فى الأغانى (١٨ : ٢١) ، يعاتب فيها محمد بن يحيى بن خالد البرمكى

٢٥ (٦) ما عدا ل : « فكان إذا أتاه الرغيف يقول » .

وقال بشار [١] :

إذَا بَلغَ الرَّأىُ النَّصِيحةَ فاستَعِنْ   بِرأْىِ نَصِيحٍ أونَصاحِة حازِمِ [٢]
ولا تحسَبِ الشُّورَى عليكَ غضاضةً   مكانُ الخَوَافى نافعٌ للقَوادِمِ [٣]
وخلِّ الهُوَيْنَى للضَّعِيفِ ولا تكنْ   نَؤُوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائِمِ
وأَدْنِ على القُربَى المُقرَّبَ نَفْسَهُ   ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرَأً غيرَ كاتِمِ [٤]   ٥
وما خَيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أُختَها   وما خَيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ [٥]
فإنكَ لا تستَطرِدُ الهمَّ بِالمُنَى   ولا تَبْلغُ العُلْيا بِغيرِ المَكارِمِ [٦]

وقال آخر [٧] :

تُعرِّفُنى هُنَيدةُ مَنْ بَنُوهاَ   وأَعْرِفُها إذا اشْتَدَّ الْغُبَارُ
٣٢٥ متى ما تَلْقَ مِنَّا ذا ثناءٍ   يَؤُزُّ كأَنَّ رِجليهِ شِجارُ [٨]   ١٠

---

(١) المقطوعة التالية من قصيدة له قالها فى مديح إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قال أبو الفرج فى الأغانى (٣ : ٢٨) : « دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره ، فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مسلم ، وحذف منها أبياتاً . وأولها :

١٥   أبا جعفر ما طول عيش بدائم   ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال : « أبا مسلم » . وانظر بقية القصيدة فيها . وقد ارتاب الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٧) فى نسبة الأبيات إلى بشار ، فقال : « وناس يجعلونها للجعجاع الأزدى ، وناس يجعلونها لغيره » . والأبيات فى المختار من شعر بشار ٢٠١ وزهر الآداب (٣ : ٣٣٩) ، وهى فى عيون الأخبار (١ : ٣٢) بدون نسبة .

(٢) النصاحة : النصيحة . ويروى : « أو نصيحة حازم » .

٢٠ (٣) جملة جناح الطائر عشرون ريشة : فأربع قوادم ، وأربع مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع خواف ، وأربع كُلَى . يقول : الخواف وإن كانت دون القوادم فإنها معينة لها ورافدة ومقوية للطائر على الطيران .

(٤) فى المختار : « وأدن من الشورى الكتوم لسره » .

(٥) النصل ، هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه .

(٦) فى المختار : « فإنك لا تستدرك الرأى بالمنى » . والاستطراد : ضرب من الخداع فى الحرب ، وهو ٢٥ أن يخدع صاحبه بالفرار ثم يكر عليه .

(٧) هو مجلودة الأعرج كما فى كتاب البرصان ٢٠٩ .

(٨) الأز : الحركة الشديدة . والشجار : خشب الهودج ، والخشبة التى توضع خلف الباب .

فلا تَعجَلْ عليهِ فإنَّ فيهِ ... منافِعَ حِينَ يَبتلُّ العِذَارُ[(١)]
أَنَا ابْنُ المَضْرَحِيِّ أبي شُلَيلٍ ... وهل يَخْفَى على النَّاسِ النَّهارُ
ورِثْنا صُنْعَهُ ولِكُلِّ فَحلٍ ... على أولادِهِ مِنه نِجارُ[(٢)]

وقال أعشَى هَمْدَانَ فى خالدِ بن عتَّابِ بن وَرقاء[(٣)] :

٥ تُمنِّينِى إمارَتَهـــا تَمِيمٌ ... وما أمرِى وأمرُ بَنى تميمِ[(٤)]
وكان أبو سُليمانٍ خَلِيلِى ... ولكنَّ الشِّراكَ مِنَ الأدِيمِ[(٥)]
أتيناَ أصبهـانَ فهزَّلتنا ... وكُنَّا قبلَ ذلكَ فى نعِيمِ
أتَذْكُرُنا ومُـرَّةَ إذْ غزونـا ... وأنتَ على بُغيلِكَ ذِى الوسومِ[(٦)]
ويركَبُ رأسَهُ فى كُلِّ وحلٍ ... ويعثُرُ فى الطَّرِيقِ المستقيمِ
١٠ وليسَ عليكَ إلاَّ طَيلَسانٌ ... نَصِيبىٌّ وإلاَّ سَحْقُ نِيمِ[(٧)]

---

(١) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس . وابتلاله كناية عن شدة الحرب وجهدها . قال طرفة :

من يَعاسيبَ ذكور وقح ... وهِضبَّات إذا ابتلّ العذرْ

(٢) النجار ، بالكسر والضم : الأصل ، والمراد به هنا الخلق والطبع . وفى اللسان : « ومن أمثالهم :
١٥ كل نجار إبل نجارها ، أى فيه من كل لون من الأخلاق » .

(٣) ترجم أعشى همدان فى (٣ : ٢٣٦) ، وخالد بن عتاب فى (٣ : ٣٣٦) . وكان من خبر هذا الشعر ، كما رواه أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ١٤٣) ، أن خالداً كان يقول للأعشى فى بعض ما يمنيه إياه ويعده به : إن وليت عملا كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتى استعملت فخذ خاتمى واقض فى أمور الناس كيف شئت . فلما استعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وهجاه بهذا الشعر .

٢٠ (٤) فى رسائل الجاحظ (٢ : ١٩٤) والأغانى : « وما أمى بأم بنى تميم » ، أى ماقصدى وطريقتى .

(٥) الشراك ، بالكسر : سير من سيور النعل . والأديم : الجلد ، وقيل المدبوغ منه . فى الأغانى : « وكان أبو سليمان أخاً لى » .

(٦) الوسوم : جمع وسم ، وهو أثر الكى . وهذه رواية ل . وفى هـ : « الوشوم » ، وسائر النسخ : « الشؤوم » .

٢٥ (٧) الطيلسان : ضرب من الثياب ، فارسى معرب . نصيبى : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من مدن الجزيرة . والسحق : البالى . والنيم : فرو قصير إلى الصدر ، ولفظ « نيم » فارسى : معناه النصف أو الوسط ، فكأن المراد نصف فرو . وبعده :

فقد أصبحت فى خز وقز ... تَبختر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زماناً ... كذبت ورب مكة والحطيم

وقال آخر (١) :

فَلَستُ مُسَلِّماً مَا دُمتُ حياً ... على زيدٍ بتسليمِ الأميرِ (٢)

أَميرٌ يأكُلُ الفالُوذَ سِرًّا ... ويُطعِمُ ضَيفَهُ خبزَ الشَّعيرِ

أَتَذْكُرُ إذْ قَباؤُكَ جِلدُ شاةٍ ... وإذْ نعلاكَ مِن جلدِ البعيرِ

فسُبحَانَ الَّذِى أعطاكَ مُلكاً ... وعلَّمَكَ الجلُوسَ على السَّريرِ ٥

وقال آخر (٣) :

دَع عنكَ مَرْوانَ لا تطْلُبْ إمارتَه ... فَفِيكَ راعٍ لها ما عِشتَ سُرسُورُ (٤)

ما بالُ بُردِكَ لم يَمْسَسْ حَواشيَهُ ... من ثَرْمِداءَ ولا صَنْعاءَ تَحبيرُ (٥)

٣٢٦ وقال ابن قَنَانَ المحاربىّ (٦) :

أَقولُ لمَّا جِئتُ مجلِسَهُم ... قَبحَ الإلهُ عمائمَ الخزِّ ١٠

لولا قُتَيبَةُ ما اعتجَرتَ بها ... أبداً ولا أقعَيتَ فى غرزِ (٧)

عَجَباً لِهذا الخزِّ يَلبَسهُ ... مَن كان مشتاقاً إلى الخُبزِ

مَن كان يَشتُو فى عَباءَتِهِ ... مُتقبِّضًا كتقبُّضِ العَنزِ

وقال ثابتُ قُطنةَ ، فى رجلٍ كان المهلَّب ولاَّه بعض خُراسان :

ما زالَ رأْيُكَ يا مُهلَّبُ فاضِلاً ... حتَّى بَنيتَ سُرادِقاً لوكيعِ ١٥

---

(١) هو على بن خالد البرذخت ، كما فى رسائل الجاحظ (٢ : ٢٦١) .

(٢) يروى : « على معن » ، وهو معن بن زائدة الشيبانى . انظر قصة طريفة لهذا الشعر فى إعلام الناس ص ٩٤ ، وقصص العرب (٣ : ٢٤٠) : وزيد هذا هو زيد بن الحصين بن زهير والى أصبهان . جمهرة ابن حزم ٢٠٤ — ٢٠٥ وأمالى القالى (٣ : ٧٩) .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى ، وكان ابنه يراه يمضى إلى الملوك ويعود مكسوراً ، فأراد أن يصنع ضيعة فأخذ بعيراً لأبيه فقصد مروان فرده ولم يعطه شيئاً ، فقال حميد هذا الشعر فى ذلك . معجم البلدان (ثرمداء) . ٢٠

(٤) السرسور : الحافظ للمال الحسن القيام عليه . ما عدا ل : « شرشور » ، تحريف .

(٥) ثرمداء ، بفتح الثاء مع فتح الميم وكسرها : قرية بالوشم من أرض اليمامة . وصنعاء : قصبة اليمن . والتحبير : التحسين .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ابن فنان » . ٢٥

(٧) اعتجر بالعمامة : لفها على رأسه . وأقعى الرجل فى جلوسه : تساند إلى ما وراءه . والغرز : ركاب الرحل .

وجعلتَهُ رَبًّا على أربابِهِ ورفَعتَ عَبداً كانَ غيرَ رَفيع
لَو رَا أَبوهُ سُرادقاً أحدثتَهُ لبَكَى وَفاضَتْ عَينُهُ بدُموع

وقال ابن شَيْخان (١) ، مولى المغيرة ، فى بنى مُطيع العدويِّين :

حَرامٌ كَنَّتى مِنِّى بِسُوءٍ وَأَذْكُرُ صاحبِى أبداً بِذَامِ (٢)
لقد أحرمتُ وُدَّ بَنِى مُطِيعٍ حرامَ الدُّهْنِ للرَّجُلِ الحرامِ (٣)
وخَزُّهُمُ الَّذِى لم يَشتَرُوهُ ومجلِسَهُمْ بِمُعتلَجِ الظَّلامِ (٤)
وإنْ جنَفَ الزَّمانُ مَددتُ حَبلاً متِيناً مِن حِبالِ بنى هِشامِ (٥)
وَرِيقٌ عُودُهُمْ أَبداً رطيبٌ إذا ما اغبَرَّ عِيدانُ اللِّئامِ

وقال آخر :

لِمَن جُزُرٌ يُنَحِّرُها سُوَيدٌ ألا يا مُرَّ للمجدِ المُضاعِ (٦)
كأنَّكَ قَد سَعَيتَ بِذِمَّتَيهِمْ وكنتَ ثِمالَ أَيتَامٍ جِياعِ (٧)

وقال :

سُبحَانَ مَن سَبَّحَ السبْعُ الطِّباقُ له حتَّى لَهرثَمةَ الذُّهْلِيِّ بَوّابُ (٨)

---

(١) ما عدا ل : « ابن سيخان » .

(٢) الكنة : امرأة الابن أو امرأة الأخ . والذام : العيب .

(٣) أحرم الشئ بمعنى حرمه . قال حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنه رواهب أحرمنَ الشراب عذوب

(٤) الاعتلاج : التلاطم والتضارب . يقول : هم لا يوقدون ناراً ، إما خشية الضيفان ، وإما تلمساً للريبة فى الظلام .

(٥) جنف : مال وجار ، يقال من بابى فرح وفتح ، والمصدر الجنف ، بالتحريك ، ل : « مددت رجلا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الجزر ، بضمتين : جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة . ينحّرها ، أراد يكثر نحرها . وهذا الفعل المضاعف مما لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٧) ثمال لهم ، أى عماد وغياث يقوم بأمرهم .

(٨) الطباق ، مصدر طوبقت طباقاً ، أى جعلت على حذو واحد.ماعدا ل.: « أبواب » ، تحريف . وفى الاشتقاق ١٢٣ : « ومنهم هرثمة ، أحد بنى ذهل كان شريفاً بالكوفة ، قال فيه الشاعر:

سبحان من سبح السبع الطباق له حتى لهرثمة الذهلى بواب »

وأنشدنا للأُحَيْمِر [١] :

بِأَقَبَّ مُنْصَلِتِ اللَّبانِ كأنَّهُ ... سِيدٌ تَنصلَّ مِن جُحُورِ سَعالِى [٢]

* * *

وقال خَلَفٌ : لَمْ أرَ أجمعَ من بيت امرىء القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ ... وقادَ وذادَ وعادَ وأفْضَلْ [٣]

ولا أجمعَ من قوله :

لهُ أيطَلَا ظَبيٍ وساقا نعامَةٍ ... وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تَتْفُلِ [٤]

* * *

وقال الآخرَ :

رمَى الفقرُ بالفِتيانِ حتَّى كأنَّهُمْ ... بأقطارِ آفاقِ البِلادِ نُجومُ [٥]

وإنَّ امرأً لم يُقْفِرِ العامَ بَيتُهُ ... ولم يَتخدَّدْ لحمُهُ لَلَئيمُ [٦]

---

(١) ل : « للأحمر » عدا ل : « الأحيمر » ، صوابهما ما أثبت من الحيوان (٣ : ٥٢) . وقد مضت ترجمة الأحيمر السعدى فى (٣ : ٢٠٠) .

(٢) الأقب : الضامر البطن ، يعنى الفرس . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وقد عنى بالمنصلت الصلت ، وهو البارز المستوى . وهذا الاستعمال مما لم تنص عليه المعاجم . والسيد : الذئب . تنصل . خرج . والسعالى : جمع سعلاة ، وهو الغول فيما يزعمون . يقول . كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو .

(٣) قد جرى على طريقة امرىء القيس هذه أبو العميثل الأعرابى فقال .

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل ... واصفح ودار وكف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد ... زد هشّ بش تفضّل ادن سرّ صِلِ

انظر الوساطة ٢٥٣ وشرح العكبرى لديوان المتنبى (٢ : ٧٢) .

(٤) هذا الخبر أيضاً فى الحيوان (٣ : ٥٢ - ٥٣) . والأيطل : الخاصرة . والإرخاء : ضرب من العدو دون التقريب . والسرحان ، بالكسر : الذئب . والتتفل : الثعلب ، وفيه سبع لغات ، فهو كتنصب ، وقنفذ ، ودرهم ، وجعفر ، وزبرج ، وجندب ، وسكر .

(٥) جعلهم كالنجوم فى تفرقها .

(٦) تخدد لحمه : هزل ونقص .

وقال عبد العزيز بنُ زُرارَة الكِلابيُّ (١) :

وليلةٍ مِن لَيالى الدَّهرِ صالِحةٍ	باشرتُ في هَولِها مَرأًى ومُستمَعا
ونَكبةٍ لَو رمَى الرَّامِى بِها حَجراً	أصمَّ مِن جَندَلِ الصَّمَّانِ لانصَدعا (٢)
مَرَّتْ عَلَىَّ فلم أَطرَح لَها سَلَبى	ولا استكَنْتُ لها وَهناً ولا جزَعا (٣)
وما أُزالُ على أرجاءِ مَهْلَكَةٍ	يُسائِلُ المَعشَرُ الأَعداءُ ماصنَعا (٤)
ولا رَمَيتُ عَلى خَصمٍ بِفاقِرَةٍ	إلاَّ رُمِيتُ بِخَصمٍ فُرَّ لى جَذَعا (٥)
ما سُدَّ مُطَّلَعٌ يُخشَى الهلاكُ به	إلاَّ وجدتُ بِظَهرِ الغيبِ مُطَّلَعَا (٦)
لا يَملأُ الهولُ قلبِى قَبلَ موقعه	ولا أَضِيقُ به صدراً إذا وقعا (٧)

وقال آخر :

لقد طالَ إعراضِى وصفحِى عَن الَّتى	أُبَلَّغُ عنكُمْ والقُلوبُ قُلوبُ
وطالَ انتِظارِى عَطفةَ الرَّحِمِ مِنكمُ	لِيَرْجِعَ وُدٌّ أو يُنِيبَ مُنِيبُ
فلا تَأْمَنُوا مِنّى عليكمْ شَبِيهَها	فيَرضَى بَغيضٌ أو يُساءَ حبِيبُ
وتَظْهرَ مِنَّا فى المَقامِ ومِنكُمُ	إذا ما ارتَمَينا فِى النِّضال عُيُوبُ (٨)

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٧٥) .

(٢) الصمان : أرض غليظة متاخمة للدهناء .

(٣) السلب ، بالتحريك ، مايأخذه المحارب من قرنه مما يكون عليه ومعه ، من ثياب وسلاح ودابة . والاستكانة : الخضوع .

(٤) أرجاء : أنحاء ، جمع رجاً . وهذا البيت لم يرو فى ل .

(٥) الفاقرة : الداهية ، كأنها تكسر فقار الظهر . ل : « بنافرة » ، تحريف . وفى حواشى هـ عن نسخة : « بباقرة » . فر ، بالبناء للمفعول : كشف عن أسنانه ليعلم ماسنه . والجذع ، هو من الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى الخامسة ؛ وهو مثل فى الشباب .

(٦) مطلع الأمر : مأتاه ووجهه . وأصل المطلع موضع الاطلاع من مكان عال . وفى هـ : « من مَطْلَع » . وأنشد هذا البيت فى اللسان (طلع) برواية :

ما سد من مطلع ضاقت ثنيته ... إلا وجدت سواء الضيق مطلعا

(٧) الهول : المخافة من الأمر . ما عدا ل : « قبل وقعته ولا يضيق له صدرى » .

(٨) ما عدا ل : « ويظهر منا فى المقال » .

وإنَّ لِسانَ الباحِثِ الدَّاءَ ساخِطاً   بَنِى عَمِّنا ، ألوَى البيانِ كَذُوبُ [(١)]

وقال الأشهبُ بنُ رُمَيلة [(٢)] :

إنَّ الأُلَى حانت بِفَلْجٍ دماؤُهُمْ   هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ [(٣)]

هُمُ ساعدُ الدَّهرِ الذِى يُتَّقَى بِهِ   وما خير كَفٍّ لا تنوءُ بِسَاعِدِ [(٤)]

أُسُودُ شَرًى لاقتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ   تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ [(٥)]   ٥

قوله : « هم ساعِدُ الدّهر » ، إنّما هو مثل ، وهذا الذى تسمِّيه الرواة البديع . وقد قال الراعى :

هُمُ كاهِلُ الدَّهْرِ الّذى يُتَّقَى بِه   ومَنكِبُهُ إنْ كان لِلدَّهرِ مَنكبُ

وقد جاء فى الحديث : « موسى اللهِ أحَدُّ ، وساعد اللهِ أشدّ » .

والبديع مقصورٌ على العرب ، ومن أجله فاقت لُغَتُهم كلَّ لغة ، وأرْبَتْ   ١٠

---

(١) هذا ما فى ل ، هـ . وفى سائر النسخ : « فإن » . الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٦٦ ، ٢١١) .

(٣) فلج : طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة . حانت دماؤهم ، أى هلكت ، والمراد أنه لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص . وقد روى هذا البيت خامس أبيات رواها أبو تمام فى مختار أشعار القبائل منسوبة لحريث بن محفض كما فى الخزانة (٢ : ٥٠٩) ، وهى :   ١٥

ألم تر أنى بعد عمرو ومالك   وعروة وابن الهول لست بخالد

وكانوا بنى ساداتنا فكأنما   تساقوا على لوح بماء الأساود

وما نحن إلا مثلهم غير أننا   كمنتظر ظمئا وآخر وارد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به   وما خير كيف لا تنوء بساعد

والنحويون يروون هذا البيت على هذا الوجه : « وإن الذى حانت » ، يجعلونه شاهدا لورود « الذى » بمعنى الذين مخففة منها . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ٩٦) والسيوطى ١٧٥ ومعجم البلدان (فلج) والمؤتلف والمختلف ٣٣ .   ٢٠

(٤) تنوء به : تنهض مثقلة . وقد أنشد عجز هذا البيت فى اللسان (٤ : ٢٠١) شاهداً على أن « ساعد القوم » معناه رئيسهم .

(٥) البيت من الشواهد اللغوية المشهورة الحيوان (٤ : ٢٤٥) والكامل ٢٣ ، ٤٣٨ والعقد (١ : ٥٣) والقالى (١ : ٨) والأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) واللسان (حرد) . وشرى : جبل بنجد أو بتهامة مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . والحرد : الغضب . وروى : « على لوح » ، واللوح : العطش : بضم اللام وفتحها . والأساود : جمع أسود ، وهو ضرب من الحيات عنيف أسود اللون .   ٢٥

على كلِّ لسان . والرَّاعِى كثير البديع فى شعره ، وبَشَّارٌ حسن البديع ، والعتَّابىّ يذهب فى شعرِهِ فى البديع مذهبَ بشَّار (١) .

وقال كعب بن عدىّ :

شُدَّ العصابَ على البرىءِ بِمَنْ جَنَى ... حتَّى يكونَ لِغيرِهِ تنكيلا

٥ والجهلُ فِى بعضِ الأُمُورِ إذا اعْتَدَى ... مُستَخرِجٌ لِلجاهِلينَ عُقولا

وقال زُفَرُ بنُ الحارث (٢) :

إنْ عُدتَ واللهِ الَّذِى فوقَ عرشِهِ ... منحتُكَ مَسنونَ الغِرارينِ أَزْرَقا (٣)

فإنَّ دواءَ الجهلِ أن تُضرَبَ الطُّلَى ... وأَنْ يُغمسَ العِرِّيضُ حتَّى يُغرَّقا (٤)

٣٢٩

وقال مبذولٌ العذرىّ :

١٠ ومولًى كضِرسِ السَّوءِ يُؤذِيك مَسُّهُ ... ولابُدَّ إنْ آذاك أَنَّك فاقِرُهْ (٥)

دَوِى الجَوفِ إن يُنزَعْ يَسؤكَ مكانُهُ ... وإنْ يبقَ تُصبِحْ كلَّ يومٍ تُحاذِرُه (٦)

يُسِرُّ لكَ البغضاءَ وهْو مُجامِلٌ ... وما كلُّ من يَجنى عليكَ تُساوِرُه (٧)

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « يذهب شعره فى البديع » ، فقط .

(٢) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك وكان قد خرج ١٥ على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وقد سبق فى (٣ : ٢١٦) أنه دخل على عبد الملك بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : مالا ينفعنى ولا يضرك . قال : فما منعك من مواساته يوم المرج ؟ قال : الذى منعك من مواساة عثمان يوم الدار ! وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٢٠ المؤتلف ١٢٩ . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٣١٥ . وفى الحيوان (١ : ١٣) : « وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم ير حق الصفح فجعل العفو سبباً إلى سوء القول » . وأنشد البيتين التاليين .

(٣) غرارا السيف : حداه . والأزرق : الشديد الصفاء . الحيوان : « فإن عدت »

(٤) الطلى : الأعناق ، أو أصولها ، جمع طلية أو طلوة ، بضم الطاء فيهما ، أو جمع طلاوة بفتح ٢٥ الطاء . والعريض ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) فاقره ، أى كاسره .

(٦) الدوى : ذو الداء ، وهو المرض . ما عدا هـ : « يصبح » .

(٧) المساورة : المواثبة .

وما كلُّ مَنْ مَدَّدتَ ثوبَكَ دُونَهُ لِتَسْتُرَه مِمَّا أتى أَنت ساترُه [(١)]

وقال آخر :

أطالَ اللهُ كَيْسَ بنى رَزِينٍ وحُمْقِى إنْ شَرَيْتُ لهمْ بدَينِ [(٢)]

أَأَكتُبُ إبْلَهُم شاءً وفيها بِرَبْعٍ فِصالِها بِنْتا لَبُونِ

فما خُلِقُوا بكَيْسِهِم دُهاةً ولا مُلَحاءَ بَعْدُ فيعجِبُونى [(٣)]

وقال آخر [(٤)] :

عفاريتاً عَلَىَّ وأَكْلَ مالِى وعجزاً عنْ أُناسٍ آخرِينا

فهلاً غيْرَ عمِّكُمْ ظَلمتُمْ إذا ما كُنتمْ مُتظلِّمينا

فلوْ كنتُمْ لِكَيِّسةٍ أكاستْ وكَيْسُ الأُمِّ أَكْيَسُ لِلبنينا

وقالت رُقَيَّةُ بنت عبد المطَّلب [(٥)] فى النبى ﷺ :

أَبُنَىَّ إنى رَابَنى حَجَرٌ يَغْدُو بكَفِّكَ حيثُما تَغْدُو

وأَخافُ أن تَلْقَى غَوِيُّهُمُ أَوْ أَنْ يُصيبَكَ بَعدُ مَن يعدُو

ولما دخل مكة [(٦)] لقيه جواريها يقُلْن :

طَلَعَ البَدرُ علينـا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَداعْ [(٧)]

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « لتستر مما قد أتى » .

(٢) مضت الأبيات فى (٢ : ٢٥٢) . وفى هذا البيت سناد . وفى هـ : « بدينى » .

(٣) ل فقط : « فيعذرونى » .

(٤) هو رافع بن هريم ، كما سبق تحقيقه فى (١ : ١٨٥) ، وقد أنشد الجاحظ الأبيات التالية أيضاً فى (٢ : ٢٥٣) .

(٥) كذا ، وليس فى عماته ﷺ من تدعى « رقية » ، فلعل صوابها « صفية » . وقد سبق لصفية شعر فى (٣ : ٣٦٣) . وذكر الزرقانى فى شرحه للمواهب اللدنية (٣ : ٣٤٣) أسماء عماته عليه السلام ، وقال : إن جملتهن ست بلا خلاف : عاتكة ، وأميمة ، والبيضاء أم حكيم ، وبرة ، وصفية ، وأروى .

(٦) هذا قول من قال إن الشعر التالى قيل فى عودته من تبوك ، أو عند فتح مكة . والأشهر أنه قيل عند قدومه المدينة .

(٧) هى ثنية الوداع ، مضافة إلى واد بمكة يقال له « الوداع » . وفى معجم البلدان أنه واد بالمدينة . وفى اللسان : « والوداع : واد بمكة ، وثنية الوداع منسوبة إليه . ولما دخل النبى =

وجَبَ الشُّكرُ علينا مَا دعا لِلهِ داعْ

* * *

٣٣٠

يضاف إلى باب الخطب

وإلى القول فى تلخيص المعانى والخروج من الأمر المشبه بغيره ، قولُ

٥ حسانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىّ :

إنَّ خالِى خطيبُ جابِيةِ الجَوْ لانِ عِندَ النُّعمانِ حِينَ يقومُ (١)

وهُو الصَّقرُ عِندَ باب ابنِ سَلمَى يومَ نُعمانُ فى الكُبُولِ مُقِيمُ (٢)

وَسَطَتْ نُسبتى الذَّوائِبَ مِنهمْ كلُّ دارٍ فِيها أبٌ لِى عظيمُ

وأبِى فى سُمَيْحَةَ القائِلُ الفا صِلُ يومَ التفَّتْ عليهِ الخصومُ

١٠ يَصِلُ القولَ بالبَيانِ وذُو الرَّأْ يِ مِنَ القومِ ظالِعٌ مكعُومُ

تِلكَ أفعالُهُ ، وفِعلُ الزِّبَعْرَى خامِلٌ فى صدِيقِهِ مذمُومُ

رُبَّ حِلمٍ أضَاعَه عَدَمُ الْما لِ وجهلٍ غطَّى عليهِ النَّعِيمُ

ولىَ البأسُ مِنكُمُ إذْ أبيتمْ أُسرةٌ مِن بَنى قصىٍّ صَمِيمُ (٣)

وقُريشٌ تَجُولُ مِنَّا لِواذاً أنْ يُقِيمُوا وخَفَّ مِنها الحلومُ (٤)

١٥ لم يُطِقْ حَملَهُ العَواتِقُ مِنهُمْ إنَّما يَحمِلُ اللِّواءَ النُّجومُ (٥)

* * *

ولما دَفن سليمان بن عبد الملك أيّوبَ ابنَه وقف ينظر إلى القبر ثم قال :

= ﷺ مكة يوم الفتح استقبله إماء مكة يصفِّقن ويقلن » . وأنشد البيتين . وانظر للخلاف فى « ثنية الوداع » الزرقانى على مواهب القسطلانى (١ : ٤٣٢ – ٤٣٤) .

٢٠ (١) سبق الكلام على تخريج القصيدة وتفسيرها فى (٢ : ٣٢٥ – ٣٢٦) .

(٢) ل ، هـ : « سقيم » .

(٣) فى جميع النسخ : « ولى للناس » . وانظر ما سبق من الكلام على البيت .

(٤) ما عدا ل : « يحول منا » ، تحريف .

(٥) ل : « السوابق منهم » .

كُنتَ لنا أُنساً ففارقتنا فالعيشُ مِن بعدِكَ مُرُّ المذاقْ

وقُرِّبت دابّته فركِب ووقف على قبره ، وقال :

وُقوفٌ عَلَى قبرٍ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتاعٌ قَلِيلٌ مِن حبيبٍ مُفارِقِ

ثم قال : عليك السلام ! ثم عطَفَ رأسَ دابّته ، وقال :

٢٣١ فإنْ صبَرْتُ فلم ألفِظْكَ مِن شِبَعٍ وإنْ جزِعتُ فعِلْقٌ مُنفِسٌ ذَهبا [١] ٥

* * *

المدائنى قال [٢] : لما مات محمد بن الحجاج جزِع عليه فقال : إذا غسَّلتموه فأعلمونى . فلمّا نظر إليه قال :

الآنَ لمّا كُنتَ أكرمَ مَن مشَى وافترَّ نابُكَ عن شَباةِ القارِحِ [٣]

وتكامَلَتْ فِيكَ المروءَةُ كُلُّها وأعنْتَ ذلِكَ بالفَعالِ الصَّالحِ ١٠

---

(١) العلق ، بالكسر : النفيس من كل شيء . والمنفس : النفيس أيضاً .

(٢) الخبر التالى برواية مخالفة فى أمالى القالى (٣ : ٧) : « عن أبى عبيدة قال : لما هلك أبان بن الحجاج – وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير – فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثل بقول زياد الأعجم » . وأنشد البيتين اللذين رواهما الجاحظ ثم قال : فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصارى . فأتاه فقال : أنشدنى مرثيتكَ فى ابنك الحسن . فأنشده : ١٥

قد أكذب الله من نعى حسناً ليس لتكـذيب موتـه ثمن
أجول فى الدار لا أراك وفى الدا ر أنـاس جوارهـم غبـن
بدلتهم منك ليت أنهم أضحوا وبينى وبينهم عدن

فقال له الحجاج : ارث ابنى أبانا . فقال له : إنى لا أجد به ما كنت أجد بحسن ! قال : وما كنت تجد به ؟ قال : ما رأيته قط فشبعت من رؤيته ، ولا غاب عنى قط إلا اشتقت إليه ! فقال الحجاج . كذلك كنت أجد بأبان . وفى الشعر والشعراء ٣٩٧ أن الحجاج تمثل بالبيتين عند موت ابنه (يوسف) . ٢٠

(٣) البيتان من قصيدة لزياد الأعجم يرثى بها المهلب بن المغيرة . انظر الأغانى (١٤ : ٩٩) والأمالى (٣ : ٨ – ١١) والشعر والشعراء . افتر : بدا ولمع . وشباة كل شيء : حده . والقارح : الفرس استتم الخامسة ودخل فى السادسة ، يقال قرح إذا سقطت سنه التى تلى الرباعية ونبت مكانها نابه ، وبذلك تتكامل أسنانه . عنى أنه قد استتم شبابه وعقله . فى الأمالى والشعراء : « لما كنت أكمل من مشى » . ٢٥

ثم أتاه موتُ أخيه محمّدِ بنِ يوسفَ فقال :

حَسْبِى ثوابُ اللهِ مِن كلِّ ميِّتٍ ... وحسبِى بقاءُ اللهِ مِن كلِّ هالِكِ

إذا ما لِقيتُ اللهَ عنّى راضِيًا ... فإنَّ شِفاءَ النَّفْسِ فيما هُنالِكِ

* * *

٥ وتمثّل مُعاوية فى عبد الله بن بُدَيل [١] :

أخُو الحَربِ إن عَضَّتْ بِهِ الحَربُ عَضَّها

وإن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شَمَّرا [٢]

ويدنو إذا ما الموتُ لم يَكُ دُونهُ

قِدَى الشِّبْرِ يَحمِى الأَنفَ أَن يتأَخَّرا [٣]

١٠ ورأى معاويةُ هُزالَه وهو مُتَعَرٍّ ، فقال :

أَرَى اللَّيالِى أَسْرَعَت في نَقضى [٤] ... أَخذنَ بعضِى وتركنَ بَعضِى

حَنَيــنَ طولى وتركــنَ عَرْضِى ... أقعدنَنى مِنْ بعدِ طُولِ النّهضِ

* * *

وتمثل عبدُ الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق [٥] :

---

١٥ (١) هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، أسلم يوم الفتح مع أبيه ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وشهد صفين مع على وقتل بها . الإصابة ٤٥٥٠ . وانظر خبَر مصرعه وبطولته فى وقعة صفين لنصر ابن مزاحم ٢٧٦ – ٢٧٨ .

(٢) البيتان لحاتم الطائى ، من قصيدة له فى ديوانه (خمسة دواوين العرب ١٢١ – ١٢٢)

(٣) قدى الرمح ، بكسر القاف مع القصر ، أى قدره ، كأنه مقلوب من قيد ، بالكسر يقال قدى

٢٠ رمح ، وقيد رمح ، وقاد رمح . وقد نسب هذا البيت فى اللسان (٢٠ : ٣٢) إلى هدبة بن الخشرم.وروايته فى وقعة صفين : « ويحمى إذا ما الموت كان لقاؤه » . وفى الديوان واللسان :

وإنى إذا ما الموت لم يك دونه ... قدى الشبر أحمى الأنف أن يتأخرا

وفى اللسان : « أن أتأخرا » .

(٤) الرجز فى ملحقات ديوان العجاج ٨٠ .

٢٥ (٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٤) .

سَكَنْتُهُ لِيَقِلَّ مِنِّى نَفْرُهُ فأَصُولَ صَولةَ حازِمٍ مُستمِكنِ
غضَباً ومَحْمِيةً لِنَفْسِى إنّهُ ليسَ المسىءُ سبيلُهُ كالمُحسنِ (١)

وسمع معاويةُ رجلا يقول :

ومَنْ كريمٌ ماجدٌ سَمَيْدَعُ (٢) يُؤْتَى فيُعطِى مِن نَدًى ويمْنَعُ

٣٣٢ فقال : هذا منا ، وهذا واللهِ عبدُ الله بن الزُّبير . ٥

المدائنى قال : قال معاوية : « إذا لم يكن الهاشمىُّ جواداً لم يُشبِه قومَه ، وإذا لم يكن المخزومىُّ تَيَّاها لم يُشبِه قومه ، وإذا لم يكن الأموىُّ حليماً لم يُشبه قومَه » . فبلغ قولُه الحسنَ بنَ علىّ رضى الله تعالى عنهما فقال : ما أحسَنَ ما نظر لنفسه ! أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما فى يديه ، وتُزْهى بنو مخزوم على الناس فتُبغَض وتُشنأ ، وتحلُم بنو أمية فتحَبّ .

وقال بشار : ١٠

أَحسِنْ صِحَابتَنا فإنَّكَ مُدْرِكٌ بعضَ اللَّبانَةِ باصطِناعِ الصَّاحِبِ
وَإذا جَفوتَ قَطَعْتُ عَنْكَ لُبانتى والدَّرُّ يَقطعُهُ جَفاءُ الحالِبِ
تأتِي اللَّئيمَ ، وما سَعَى ، حاجاتُهُ عَددَ الحَصى ويَخِيبُ سعىُ الدَّائِبِ (٣)

وأنشد :

إذا ما أُمُورُ النّاس رَثّتْ وضُيِّعَتْ وجدْتُ أُمورِى كلَّها قَدْ رَمَمْتُها ١٥

وقال أعرابىّ :

نَدِينُ ويَقضِى اللهُ عَنَّا وقَد نَرَى مكانَ رِجالٍ لا يَدِينُونَ ضُيَّعا

---

(١) المحمية ، من قولهم حمى الشىء يحميه حمياً ، وحِمى ، وحماية ، ومحمية ، أى منعه ودفع عنه .
(٢) السميدع : الشجاع .
(٣) فى المختار من شعر بشار ٤٥ : « تأتى المقيم » ، وهو الأوفق . ٢٠

وقال أعرابىّ :

وليس قَضاءُ الدَّيْنِ بالدَّينِ راحةً ‏ ‏ ولكِنَّهُ ثِقْلٌ مُمِضٌّ إلى ثِقلِ

وأنشد أبو عبيدة لعُبيدٍ العنبرىّ [١] ، وهو أحد اللُّصوص :

يارَبِّ عفْوَك عن ذِى توبةٍ وَجِلٍ ‏ ‏ كأنَّهُ مِن حِذارِ النّاسِ مجنونُ

٥ قد كانَ قدّم أعمالاً مُقارِبَةً ‏ ‏ أيّامَ لَيس له عقلٌ ولا دِينُ [٢]

وقال أعرابىّ :

يارَبِّ قد حَلفَ الأقوامُ واجْتهَدُوا ‏ ‏ أيمانَهُمْ أنَّنى مِنْ ساكِنِى النّارِ

أيَحْلفُونَ على عمياءَ وَيْلَهُمْ ‏ ‏ جهلاً بِعفوِ عظِيمِ العفوِ غفَّارِ

وقال أعرابىّ وهو محبوس :

١٠ أقيداً وسجناً واغتِرَاباً وفُرقةً ‏ ‏ وذِكرَى حبيبٍ إنَّ ذا لعظيمُ [٣]

وإنَّ امرأً دَامَت مواثِيقُ عهدِهِ ‏ ‏ على كلِّ ما لاقيتُهُ لكَرِيمُ [٤] ٣٣٣

وقال أعرابى :

يا أُمَّ عَمرٍو بيِّنى أنتِ كُلَّما ‏ ‏ تَرفَّعَ حادٍ أو دعا كلُّ مُسْلِمِ

نَظَرْتُ إليْها نظرة مَا يسُرُّنى ، ‏ ‏ وإنْ كُنتُ محتاجاً ، بها أَلْفُ دِرْهَمِ [٥]

---

١٥ (١) عبيد بن أيوب ، أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه ، فهرب فى مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويأكل مع الظباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللآلىء ٣٨٣ .

(٢) ما عدا ل : « أيام سلف أعمالا » .

(٣) أنشدهما فى الحيوان (٧ : ١٥٩) منسوبين إلى بعض اللصوص ، وهما مما اختاره أبو تمام فى

٢٠ حماسته (٢ : ١١١) . ما عدا ل : « أسجناً وقيداً واغتراباً ووحشة وذكرى » . الحيوان : « أقيد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . الحماسة : « أسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة ونأى حبيب » .

(٤) الحيوان : « على عشر ما بى إنه لكريم » . الحماسة : « على مثل ماقاسيته لكريم » .

(٥) بها ، أى بدلها .

وقال الشاعر :

وما كَثرةُ الشَّكْوَى بأَمرٍ حَزامةٍ
ولا بُدَّ مِن شَكوَى إذا لم يكن صَبرُ (١)

ومثله :

وأَبْثَثْتُ بَكراً كلَّ ما فِي جوانحي وجرَّعْتُهُ مِنْ مُرِّ ما أَتَجَرَّعُ (٢)
ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إلى ذِى حَفيظَة إِذَا جعلَتْ أَسْرارُ نفْسى تَطَلَّعُ (٣)

وقال الشاعر (٤) :

حَسدُوا الفتىَ إذ لمْ يَنالُوا سعيَهُ فالقومُ أعداءٌ لهُ وخُصومُ (٥)
كضَرائرِ الحَسناءِ قُلْنَ لِوجهِها حَسَداً وبغياً : إِنَّهُ لَدمِيــمُ

وقال بُزُرْجِمِهْر : ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد (٦) .

وقال الأحنفُ بنُ قَيس : لا راحة لحسود (٧) .

---

(١) عجز هذا البيت فى الحيوان (١ : ٢٠٢) . وسبق فى (٣ : ٢٢٠) . وقد نسب فى حماسة البحترى ١٩٧ لمالك بن حذيفة النخعى .

(٢) البيتان لبشار فى المختار من شعره ١٤٥ وأمالى القالى (٣ : ٢١٩) .

(٣) هـ : « نفس » .

(٤) هو أبو الأسود الدؤلى ، والبيتان التاليان من قصيدة له رواها السيوطى فى شرح شواهد المغنى ١٩٤ ، ٢٦٤ ، ونقلها البغدادى فى الخزانة (٣ : ٦١٨ — ٦١٩) . وللمتوكل بن عبد الله الليثى قصيدة من هذا البحر والروى يدخل الرواة فيها قول أبى الأسود :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

انظر المرجعين المتقدمين ، وكذا الأغانى (١١ : ٣٧) والمؤتلف ١٧٩ والمرزبانى ٤١٠ وحماسة البحترى ٢٧٣ . على أن هذا البيت يروى أيضاً للطرماح ، ولحسان ، وللأخطل ، ولسابق البربرى . انظر شرح شواهد المغنى ، وسيبويه (١ : ٤٢٤) .

(٥) يقوله فى ابنه ، وقد تضمنت القصيدة نصائح ووصايا كثيرة . والبيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ٩) .

(٦) نسب الجاحظ هذا القول فى رسالة الحاسد والمحسود ٣ إلى بعض الأعراب بهذا اللفظ : « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد » . وفى عيون الأخبار (٢ : ٩) : « قال ابن المقفع : أقل ما لتارك الحسد فى تركه أن يصرف عن نفسه عذاباً ليس بمدرك به حظا ، ولا غائظ به عدوا ، فإنا لم نر ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد : طول أسف ، ومحالفة كآبة ، وشدة تحرق » . وفى العقد (٢ : ٣١٩ لجنة التأليف) : « وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسدٍ : نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد » .

(٧) الكلمة بتمامها فى عيون الأخبار (٢ : ١٠) : « لا صديق لملول ، ولا وفاء =

وقال الشعبى : الحاسد منغِّص بما فى يد غيره [١] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .

وقال بعضهم يمدح أقواماً :

مُحَسَّدُونَ وشرُّ النَّـاسِ منزِلـةً مَنْ عاش فى النَّاسِ يوْماً غيرَ محسودِ

٥ وقال الشاعر :

الرِّزْقُ يَأْتى قَدَراً على مَهَلْ والمرءُ مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقالوا : « من تمام المعروف تعجيلُه » .

ووصف بعضُ الأعراب أميراً فقال : إذا أوعد أخَّر ، وإذا وعَدَ عجَّل ؛ وعيده عفو ، ووعدُه إنجاز .

١٠ وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ .

* * *

ودخل عَمرو بنُ عُبَيْدٍ على المنصور وهو يومئذٍ خليفة – وروى هذا الحديث العُتبىُّ عن عتبة بن هارون قال :

شهدته وقد خرج مِن عنده ، فسألتُه عمّا جرى بينهما فقال : رأيتُ عنده ٣٣٤

١٥ فتًى لم أعرفْه [٢] فقال لى : يا أبا عثمان ، أتعرفُه ؟ فقلت : لا . فقال : هذا ابنُ أمير المؤمنين ووليُّ عهد المسلمين . فقلت له : قد رضيتَ له أمراً يصير إليه إذا صار وقد شُغِلتَ عنه ! فبكى ثم قال : عِظْنى يا أبا عثمان ؟ فقلت : إنّ الله قد أعطاك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشترِ نفسَك منه ببعضها ، فلو أنّ هذا الأمرَ الذى

= لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا سؤدد لسيِّئ الخلق » . ونسب القول فى العقد (٢ :

٢٠ ٣١٩) إلى على بن أبى طالب : « لا راحة لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا محب لسيِّئ الخلق » .

(١) هـ : « فى يدىْ غيره » .

(٢) هو ابنه المهدى ، كما فى العقد (٣ : ١٦٤ طبع لجنة التأليف) .

صار إليك بقى فى يدَىْ مَن كان قبلك لم يصِلْ إليك . وتذكَّرْ يوماً يتمخّض بأهله لا ليلةَ بعده [١] .

* * *

المدائنى قال : سمعت أعرابيًّا يسأل وهو يقول : « رَحِم الله امرأً لم تُمجّ أذنُه كلامى ، وقدّم لنفسه مَعاذةً من سوء مقامى [٢] ، فإنّ البلادَ مجدبة ، والحالَ سيئّة ، والعقلَ زاجر ينهى عن كلامكم ، والفقر عاذر يحملنى على إخباركم [٣] ، والدُّعاءَ أحدُ الصَّدَقَتين ، فرحم الله أمرأً أمر بمَيْرٍ [٤] ، أو دعا بخير » .

وقال رجل من طيّىء :

قَتَلنا بقَتلانا مِنَ القوم مِثلَهُم ... كِراماً ولم نأْخُذْ بهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ [٥]

وقال آخر :

قَتَلْنا رجالاً من تَميمٍ أخايراً ... بقَومٍ كِرامٍ مِنْ رجالٍ أخايرِ

وسئل بعضُ العرب : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظُّنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .

---

(١) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٣٧) : « واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده » . وزاد بعد ذلك فى الخبر : « فوجَم أبو جعفر من قوله فقال له الربيع : ياعمرو ، غممت أمير المؤمنين ! فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشىء من كتاب الله ولا سنة نبيه ! قال أبو جعفر : فما أصنع ! قد قلت لك : خاتمى فى يدك فتعال وأصحابك فاكفنى . قال عمرو : ادعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك ، يبابك ألف مظلمة اردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » . وروى صاحب العقد أن عمرا لما خرج أتبعه أبو جعفر بصُرَّة فلم يقبلها وجعل يقول :

كلكم يمشى رويد ... كلكم خاتل صيد

« غير عمرو بن عبيد »

(٢) المعاذة والمعاذ : مايعاذ به ويلجأ إليه .

(٣) ما عدا ل : « والفقر عازم » . ب ، حـ : « على أخباركم » .

(٤) المير : مصدر ماره ، أى أتاه بمِيرة ، وهى الطعام .

(٥) فيما عدا ل : « حشف التمر » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « حشف النخل » عن نسخة .

وقال جريرٌ يعاتب المهاجر بنَ عبد الله (١) :

يا قَيْسَ عَيْلانَ إنِّى قد نَصبتُ لكمْ ... بالمَنْجَنيقِ ولمّا أُرسِلِ الحَجرا (٢)

فوثب المهاجرُ فأخذ بحَقْوه وقال : لك العُتْبى يا أبا حَزْرة (٣) لا ترسِلْه ! وقال سُوَيد بن صامت (٤) :

٥ ألا رُبَّ مَنْ تدعُو صديقاً ولوْ ترى ... مقالتَهُ بالغَيبِ ساءَكَ مايَفرى (٥)

مقالتُه كالشَّحمِ مادامَ شاهِداً ... وبالغيب مأثورٌ على ثُغرةِ النَّحرِ (٦)

٣٣٥ تُبينُ لكَ العَينانِ ماهو كاتِمٌ ... مِنَ الشرِّ والبغضاءِ بالنَّظر الشَّزْرِ (٧)

يسُرُّكَ بادِيه وتحتَ أديمِـــهِ ... نَميمةُ غِشٍّ تَبتَرِي عَقَبَ الظَّهرِ (٨)

فَرِشْنى بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنـى ... وخَيْرُ الموالى مَن يَريشُ ولا يَبْرى (٩)

١٠ وقال حارثة بن بدر ، لما تحالفت الأزدُ وربيعة :

لا تحسبنَّ فُؤادى طائراً فَزِعاً ... إذا تحالفَ ضبٌّ البَرِّ والنُّونُ (١٠)

---

(١) ترجم فى ص ٤٦ من هذا الجزء .

(٢) المنجنيق : آلة من آلات الرمى فى القتال . والبيت مما لم يرو فى ديوان جرير .

(٣) أبو حزرة : كنية جرير ، وحزرة : ولد له . العتبى : الرضا .

١٥ (٤) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدى بن قيس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، وكان ممن شهدا أحدا . الإصابة ٣٥٩٢ .

(٥) الفرى : الكذب والاختلاق ، والمبالغة فى النكاية .

(٦) تشبيه القول الطيب بالشحم من نادر التشبيه . وعند الزجاجى : « كالشهد » . والمأثور : السيف الذى يقال إن الجن عملته . والثغرة ، بالضم : نقرة النحر .

٢٠ (٧) ل : « بالبغضاء والنظر » .

(٨) تبترى : تبرى وتأخذ منه . والعقب ، بالتحريك : عصب المتنين ، وهو يختلط باللحم ، يمشق منه مشقا ويهذب وينقى من اللحم ، ويعمل منه الوتر .

(٩) رشنى ، هو من قولهم راش السهم : جعل له ريشا . وفى اللسان : « ورشت فلانا ، إذا قويته وأعنته على معاشه وأصلحت حاله » . وأنشد البيت شاهدا لذلك منسوباً إلى « عمير بن حباب » . لكنه

٢٥ نسب فى تاج العروس إلى « سويد الأنصارى » . وأنشده ابن فارس فى مقاييس اللغة (ريش) بدون نسبة . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٨١) وأمالى للقالى (٢ : ١٩٨) والزجاجى ٢٨ والمجتنى لابن دريد ٨٦ .

(١٠) هذا مثل لوقوع المحال ؛ إذ أن الضب برى ، والنون وهو الحوت بحرى . انظر الحيوان (٧ : ٢٣٥ – ٢٣٦) . ل : « طائرا جزعا » .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ لأعرابىّ :

فإنْ أكُ قَصداً فى الرِّجالِ فإنَّنى ... إذا حلَّ أمرٌ ساحتى لَجَسِيمُ (١)

تُعَيِّرنى الإعدامَ والوجهُ مُعْرِضٌ ... وسَيفى بأموالِ التِّجارِ زعيمُ (٢)

وأنشد ابنُ الأعرابى لعمرو بن شأس (٣) :

مَتى يَبلغُ البُنْيانُ يوماً تمامَهُ ... إذا كُنتَ تَبنيهِ وآخَرُ يَهدِمُ

٥

وقال عَبيد بن الأبرص :

ساعِدْ بأرْضٍ إذا كُنتَ بها ... ولا تَقُلْ إنَّنــى غَريبُ (٤)

قد يُوصَلُ النّازحُ النّائى وقد ... يُقْطعُ ذُو السُّهمةِ القريبُ (٥)

وأنشد الأصمعىُّ لكثيِّر :

رأيْتُ أبا الوَليدِ غَدَاةَ جَمْعٍ ... به شَيبٌ وما فقدَ الشَّبابا (٦)

١٠

ولكنْ تحتَ ذاكَ الشَّيبِ حَزْمٌ ... إذا ماظَنَّ أمرَضَ أو أُصابا (٧)

ويَمدحون بإصابة الظن ويذمّون بخَطَائه (٨) . قال أوس بن حجر :

---

(١) القصد : الذى ليس بالجسيم ولا الضئيل . ما عدا ل ، هـ : « لحليم » ، تحريف .

(٢) الوجه ، عنى به وجه الكسب . معرض : ظاهر مستبين . أراد أن حصوله على المال أهون الأمور عليه ، فما هو إلا أن يجرّد سيفه على التجار حتى يحتاز منهم ما يطلب .

١٥

(٣) عبارة الإنشاد والبيت بعدها ساقطان من ل .

(٤) البيت من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيات فالذنوب

وهى فى ديوانه وشرح القصائد العشر للتبريزى .

٢٠

(٥) النازح : البعيد . والسهمة ، بالضم : القرابة ، كما فى اللسان (سهم) عند الاستشهاد بهذا البيت .

(٦) البيتان فى الحيوان (٣ : ٦٠) واللسان (مرض) بدون نسبة فى الأخير . أبو الوليد : كنية عبد الملك ابن مروان . وجمع ، هى المزدلفة . فى جميع النسخ : « وقد فقد الشبابا » ، صوابه من الحيوان واللسان . يريد أنه وإن فقد مظهر الشباب فهو متمتع بأخص صفاته .

(٧) أمرض : قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب .

٢٥

(٨) ل : « بخطئه » ، وهما سيان .

الألمعىُّ الذى يَظُنُّ بكَ الظَّـ ـنَّ كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا [١]

وفى بعض الحكمة : « من لم ينتفع بظنِّه لم ينتفع بيقينه » .

وقال السموأل بن عاديا :

وإنَّا لقومٌ مانرى القتْلَ سُبَّةً إذا ما رأتهُ عامِرٌ وسَلولُ [٢]

٥ يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرهـهُ آجالُهـمْ فتطـول ٣٣٦

تَسيل على حدِّ السُّيوفِ نُفوسُنا وليستْ على غير السُّيوفِ تسيل [٣]

وما ماتَ مِنَّا ميِّتٌ فى فِراشِهِ ولا طُلَّ مِنَّا حيث كانَ قَتيل [٤]

وقال حَسَّان بن ثابت :

لمْ تَفُتْها شمسُ النهارِ بشىءٍ غيرَ أنَّ الشبابَ ليسَ يدَومُ [٥]

١٠ لو يدِبُّ الْحَولىُّ مِن وَلدِ الذَّ رِّ عليها لأنـدَبَتها الكُلـــومُ [٦]

---

(١) ديوان أوس بن حجر ١٣ والحيوان (٣ : ٥٩) . وهو من أبيات فى ديوانه والأغانى (١٠ : ٨) ، يرثى بها فضالة بن كلدة ، وكان قد أسدى إليه فى حياته جميلا هو وابنته حليمة بنت فضالة . قال أبو الفرج : « ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها » ، وأنشد القصيدة .

(٢) قصيدة الأبيات فى أمالى القالى (١ : ٢٦٩) والحماسة (١ : ٢٨ – ٣١) . والبيتان الأولان فى

١٥ الحيوان (٦ : ٤٢٣) . وهذا البيت ليس فى ل . وروى فى الحيوان مؤخراً عن تاليه برواية : « لأنا أناس لا نرى » .

(٣) فى الأمالى : « على حد الظبات » . وفى الحماسة : « على غير الظبات » .

(٤) ما عدا ل : « سيد فى فراشه » . وفى الأمالى والحماسة : « وما مات منا سيد حتف أنفه » .

٢٠ (٥) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٣٧٦ – ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ – ٦٢٦ جوتنجن . وفى الديوان : « لم تفقها » . وروى : « لم تفتها شمس النهار بشىء » .

(٦) ليس المراد بالحولى هنا ما أتى عليه الحول من الذر ، وإنما جعله فى صغره كالحولى من ولد الحافر ونحوه . والذر : صغار النمل . أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : الجروح ، جمع كلم بالفتح . وانظر زهر الآداب (٤ : ٢١٥) . ومثله قول حميد بن ثور :

٢٥ منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

وأبلغ منهما قول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقال بشّار بن بُرْد :

مِن فَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها ... فى حديثٍ كلذّةِ النّشوانِ (١)

ثمَّ فارقتُ ذاكَ غيرَ ذَميمٍ ... كلُّ عيشِ الدُّنيا وإنْ طالَ فانِ

وقال مزاحمٌ العُقيلىّ :

تَزِينُ سَنا الماوِىِّ كلَّ عَشيَّةٍ ... على غَفلاتِ الزَّينِ والمتَجَمَّلِ (٢)

وجوهٌ لوَ انَّ المُدْلِجينَ اعتَشَوْا بها ... صَدعنَ الدُّجى حتى تَرى الليلَ يَنجلى (٣)

وقال المسعودىّ :

إنَّ الكِـرامَ مُناهبـو ... كَ المجدَ كُلُّهُمُ فَناهِبْ (٤)

أَخْلِفْ وأَتلِفْ ، كلُّ شَـ ... ـىْءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذاهِبْ

* * *

قال : قام شدّاد بن أوس (٥) وقد أمره معاوية بِتنقُّصِ علىّ ، فقال :

الحمد لله الذى افترض طاعتَه على عباده ، وجعَلَ رضاه عند أهل التقوى آثَرَ مِن رضا خلقِه ، على ذلك مَضَى أوّلُهم ، وعليه يمضى آخِرهُم . أيُّها الناس ،

---

(١) سبق إنشاد البيتين فى (٣ : ٢٥٢) .

(٢) سبق البيتان والكلام عليهما فى (٣ : ٢٥٢) .

(٣) ثعلب وما عدا ل : « وجوها » .

(٤) سبق البيتان فى (٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢) ، وهما وعبارة إنشادهما ساقطان من ل .

(٥) هو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الخزرجى ، وهو ابن أخى حسان بن ثابت ، وقد وقع فى جمهرة خطب العرب (٣ : ٣٦٩) أنه « طائى » وليس كذلك . وكان شداد من أهل الورع والزهد . وكان أبو الدرداء يقول : « إن لكل أمة فقيهاً ، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس » . ويقول عبادة بن الصامت : « من الناس من أوتى علماً ولم يؤت حلماً » . وقال حسان بن عطية : « كان شداد ابن أوس فى سفر فنزل منزلا فقال لغلامه : ائتنا بالسفرة (نعبث بها) . فأنكرت عليه فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها أو أزمها غير كلمتى هذه ، فلا تحفظوها عنى » . توفى بفلسطين أيام معاوية سنة ٥٨ . الإصابة ٣٨٨٢ وصفة الصفوة (١ : ٢٩٦ — ٢٩٨) والبيان (١ : ١٩١ / ٣ : ١٥٧) .

إنّ الآخرةَ وعدٌ صادق ، يحكم فيها مليكٌ قادر ، وإنَّ الدُّنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منه البَرّ والفاجر [١] ، وإنّ السَّامعَ المطيعَ لِله لا حجّة عليه ، وإنّ السامع العاصِيَ لِله لا حجّة له ، وإنّ الله إذا أراد بالعباد صَلاحاً عَمِلَ عليهم صلحاؤُهم ، وقَضى بينهم فقهاؤهم ، وملكَ المالَ سمحاؤهم ؛ وإذا أراد بهم شراً عَمِلَ عليهم سفهاؤهم ، وقضَى بينهم جهلاؤهم ، ومَلكَ المال بخلاؤُهم . وإنّ مِنْ ٣٣٧ صلاح الولاة أن يصلح قرناؤهم [٢] . ونَصَحَ لك يا معاويةُ مَن أسخطك بالحقّ ، وغشّك مَن أرضاك بالباطل .

قال : اجلِسْ رحِمك الله ، قد أمَرْنا لك بمال ! قال : إنْ كان من مالك الذى تعهّدتَ جمعَه مخافَةَ تَبِعته ، فأصبتَه حلالا وأنفقتَه إفضالا ، فنَعَمْ ؛ وإنْ كان ممّا شاركك فيه المسلمون فاحتَجَنْتَه دونهم [٣] ، فأصبته اقترافا [٤] ، وأنفقته إسرافا ، فإنّ الله يقول فى كتابه [٥] : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

* * *

وأَذِنَ معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معه [٦] محمّدُ بن الأشعث [٧] ، ثم أَذِنَ له فقدّمه عليه ، فوجِدَ من ذلك محمّد بن الأشعث ، ثم أَذِنَ له فدخلَ ، فجلس بين معاويةَ والأحنف ، فقال له معاوية : إنّا والله ما أذِنّا له قبلَك إلاّ ليجلسَ إلينا دونَك ، ومارأيتُ أحداً يرفع نفسَه فوق قَدْرها إلاّ من ذِلّة

---

(١) ما عدا ل : « يأكل فيها البر والفاجر » .
(٢) ما عدا ل : « قرناؤها » .
(٣) الاحتجان : جمع الشيء وضمه إليك .
(٤) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .
(٥) فى كتابه ، ليست فى ل .
(٦) ما عدا ل : « وقد وافى معاوية » ، ومؤدى العبارتين واحد . والخبر سبق فى (٢ : ١٥٦) .
(٧) هو محمد بن الأشعث بن قيس الكندى . وكان هو وعبيد الله بن على بن أبى طالب على جيش مصعب بن الزبير الذى أرسله لغزو المختار . وقد قتلا سنة ٧٦ . الإصابة ٨٤٩٦ .

يجِدُها (١) ، وقد فعلتَ فعِلَ من أحَسَّ مِن نفسه ذلاًّ وضَعَة ، وإنّا كما نملك أمورَكم نملك تأديبَكم ؛ فأريدُوا مِنّا ما نريده منكم ، فإنّه أبقَى لكم ، وإلاّ قصَرْناكُمْ كَرْهاً ، فكان أشدَّ عليكم وأعنَفَ بكم .

وقال معاويةُ لرجلٍ من أهل سبأ : ما كان أجهَلَ قومَك حين ملَّكوا عليهم امرأة ! فقال : بل قومُك أجهل ! قالوا حينَ دعاهم رسول الله ﷺ إلى الحقّ وأراهم البينات : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . ألاَّ قالوا : اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فاهدِنا له !!

قال : ولما سقطت ثَنِيَّتا معاوية لفَّ وجهَه بعمامة ، ثمّ خرج إلى النّاس فقال :

لئن ابتُليتُ لقد ابتُلِيَ الصّالحون قَبْلى ، وإنى لأرجُو أن أكونَ منهم. ولئن عوقبتُ لقد عُوقِب الخاطئون قبلى ، وما آمَنُ أن أكونَ منهم . ولئن سَقَط عضوانِ منّى لَمَا بقىَ أكثر . ولو أتى على نفسى لما كان لى عليه خيارٌ ، تبارك وتعالى . فرَحِمَ الله عبداً دعا بالعافية ، فوالله لئن كان عتَب علىَّ بعضُ خاصتّكم لقد كنت حَدِباً على عامّتكم .

٣٣٨ ولما بلغت معاويةَ وفاةُ الحسن بن علىٍّ رضى الله تعالى عنهما ، دخَلَ عليه ابنُ عبّاس فقال له معاوية : آجرَكَ الله أبا عبّاس فى أبى محمدٍ (٢) الحسن بن علىّ ! ولم يُظهِرْ حزنا ، فقال ابنُ عبّاس : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! وغلبه البكاءُ فردّه ثم قال : لا يسدُّ والله مكانَه جُفرتُك (٣) ، ولا يزيد موتُه فى أجلك ،

---

(١) مقتبس من كلام عمر بن الخطاب . انظر ص ٧٥ .

(٢) ما عدا ل : « أبا العباس فى أبى محمد » .

(٣) الجفرة : ما يجمع البطن والجنبين ، وكان معاوية مجفرا عظيم البطن . وفى ذلك يقول على بن أبى طالب (انظر وقعة صفين ٤٦٠) :

أضربهم ولا أرى معاويه الأخزر العين العظيم الحاويه

الحاوية : ماتحوّى من الأمعاء . وفى الأصول : « حفرتك » ، تحريف .

والله لقد أُصِبْنا بمن هو أعظمُ منه فقداً فما ضيَّعَنا اللهُ بعده ! فقال له معاوية : كم كانت سنُّه ؟ قال : مولدُه أشْهَرُ من أن تُتعرَّف سنُّه ! قال : أحسَبه ترك أولاداً صغاراً ؟ قال : كلُّنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار الله لأبى محمّدٍ ماعندَه ، وقَبَضَه إلى رحمته ، لقد أبقى الله أبا عبدِ الله [1] ، وفى مثله الخَلَف الصالح .

٥

* * *

الأصمعى عن أبان بن تغلب [2] قال :

مررت بامرأةٍ بأعلى الأرض ، وبين يديها ابنٌ لها يريد سَفَراً ، وهى توصيهِ فقالت :

اجلسْ أمنحْك وصيَّتى وبالله توفيقُك ، وقليل إجدائها [3] عليك أنفَعُ من كثير عقلك : إيّاك والنّمائم فإنّها تزرع الضّغائن ، ولا تجعل نَفْسك غرضاً للرُّماة ، فإنّ الهدفَ إذا رُمِى لم يلبثْ أن ينثلم ، ومَثِّل لِنَفسك مثالاً ، فما استحسَنتَه من غيرِك فاعمَلْ به ، وما كرهتَه منه فدعه واجتَنبْه ، ومَن كانت مودّته بِشرَهُ كان كالرِّيح فى تصرُّفها .

١٠

ثم نظرَتْ فقالت : كأنك يا عراقىُّ أُعجبتَ بكلام أهل البدْو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هزَزتَ فهزَّ كريماً ؛ فإنَّ الكريمَ يهتزّ لهزّتك . وإيّاك واللئيمَ فإنّه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها ، وإيّاك والغَدْرَ فإنّه أقبحُ ما تُعومِلَ به ، وعليك بالوفاء ففيه النّماء . وكنْ بمالك جواداً ، وبدينك شَحيحاً . ومَن أُعطِى السّخاءَ

١٥

---

(١) أبو عبد الله : كنية الحسين بن على .

(٢) ما عدا ل : « أبان بن ثعلبة » ، تحريف . وهو أبو سعد أبان بن تغلب الربعى الكوفى ، كان من النساك الثقات ، ومن قصاص الشيعة ، وكان ممدوحاً بالفصاحة . توفى سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب والخلاصة . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٩) حيث أورد الوصية : « وكان عابداً من عباد أهل البصرة » . وانظر بلاغات النساء ٥٧ .

٢٠

(٣) ما عدا ل : « إجدائه » ، تحريف . وفى الأمالى : « فإن الوصية أجدى عليك من عقلك » .

والحِلم فقد استَجادَ الحُلَّةَ : رَيطتَها وسِرْبالَهَا ! انهَضْ على اسم الله .

* * *

وقال أعرابىٌّ لرجلٍ مَطَلَهُ فى حاجَة : إنّ مِثلَ الظفّر بالحاجة تعجيلُ اليأس منها إذا عَسُر قضاؤها ، وإنّ الطّلبَ وإن قلّ أعظمُ قدْراً من الحاجة وإن عظُمت ، والمَطْل من غير عُسرٍ آفةُ الجود . ٥

* * *

خطَب الفضلُ الرقاشىُّ [١] إلى قومٍ من بنى تميم ، فخطب لنفسه ، فلما فرَغ قام أعرابىٌّ منهم فقال : توسَّلْتَ بحُرمة ، وأدليتَ بحقّ ، واستندتَ إلى خَير ، ودَعوتَ إلى سُنَّة ؛ ففَرضُك مقبول ، وما سألتَ مبذول ، وحاجتُك مقضيَّة إن شاء الله تعالى . ١٠ ٣٣٩

قال الفضل : لو كان الأعرابىُّ حمِد اللهَ فى أوّل كلامه وصلَّى على النبى ﷺ لفضَحَنى يومئذ .

* * *

المدائنى قال : قال المُنذِرُ بنُ المنذِر ، لمّا حارَب غَسّانَ الشامِ ، لابنه النُّعمان يوصيه : ١٥

إيّاك واطِّراحَ الإخوان ، واطِّرافَ المعرفة [٢] ، وإيّاك وملاحاةَ الملول ، ومُمازحةَ السَّفيه . وعليك بطُول الخَلوة ، والإكثارِ من السَّمَر . والبس من القِشْر [٣] ما يزيُنك فى نفسك ومروءَتك . واعلم أنّ جِماع الخَير كلّه الحياءُ فعليك به ، فتواضعْ فى نفسك وانخدِعْ فى مالك [٤] . واعلم أنّ السكوتَ عن الأمر الذى يغنيك خيرٌ من الكلام ، فإذا اضطُرِرتَ إليه فتحرَّ الصدقَ والإيجاز ، تسلمْ إن شاء الله تعالى . ٢٠

---

(١) الفضل بن عيسى الرقاشى ، ترجم فى (١ : ٢٩٠) .
(٢) الاطّراف : يريد به تجديد الإخوان .
(٣) القشر : كل ملبوس .
(٤) الانخداع : الدخول ، يقال انخدع الضب ، إذا شم ريح الإنسان فدخل جحره . ٢٥

كلام من عزّى بعض الملوك

قال : إنّ الخلق للخالق ، والشُّكرَ للمنعم ، والتّسليم للقادر ، ولابدَّ مما هو كائن . وقد جاء مالا يُردّ ، ولا سبيلَ إلى ردّ ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب أو ستتركه ، فما الجزَعُ مما لابدَّ منه ، وما الطّمع فيما لا يُرجَى ، وما الحيلةُ فيما سينتقل عنك أو تُنقَل عنه ؟ وقد مضَتْ أصولٌ نحنُ فروعُها ، فما بقاءُ الفرع بعد ذهاب الأصل ؟ فأفضل الأشياءِ عند المصائب الصّبر ، وإنما أهلُ الدُّنيا سَفْر لا يَحُلُّون الرِّكابَ إلاّ فى غيرها . فما أحسَنَ الشُّكرَ عند النِّعَم ، والتسليم عند الغِيَر . فاعتبِرْ بمن رأيتَ من أهل الجزع ، فإن رأيت الجزع ردَّ أحداً منهم إلى ثقةٍ مِن دَرَك فما أولاكَ به . واعلم أنّ أعظمَ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها ، فأَفِقْ [1] فإنّ المرجع قريب . واعلم أنه إنما ابتلاك المنعِم ، وأخذ منك المعطِى ، وما ترَك أكثر . فإنْ نسيتَ الصبرَ فلا تَنس الشكر ، وكُلاًّ فلا تَدعْ . واحذَرْ من الغفلة استلابَ النِّعم ، وطولَ الندامة ، فما أَصغرَ المصيبةَ اليوم مع عِظَم الغنيمة غداً . فاستقبل المصيبةَ بالحِسْبة [2] تستخلِفْ بها نُعْمَى [3] . فإنما نحنُ فى الدُّنيا غَرضٌ يُنتضَل فينا بالمنايا [4] ، ونهبٌ للمصائب ؛ مع كلِّ جُرعة شَرَقٌ ، ومع كل أُكلةٍ غَصَصٌ ؛ لا تُنال نعمةٌ إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبِل مُعَمَّرٌ يوماً من عمره إلا بفراقِ آخرَ مِن أجَله [5] ، ولا تحدُث له زيادة فى أُكله إلاّ بنَفاد ماقبلَه من رزقه ، ولا يحيا له أثرٌ إلاّ ماتَ له أثر . ونحنُ أعوانُ الحُتوف على أنفسِنا ، وأنفسُنا تسوقُنا إلى الفَناء ، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا اللَّيل والنَّهار

(١) ما عدا ل ، هـ : « فاتق » .

(٢) الحسبة : البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر .

(٣) ما عدا هـ : « نعما » .

(٤) الغرض : الهدف . والانتضال : الاستباق فى رمى الأغراض .

(٥) ما عدا ل : « إلا بهدم آخر من أجله » .

لم يَرفَعا من شيءٍ شَرَفاً إلا أسرعا الكَرَّة فى هدمِ ما رَفعا ، وتفريق ما جَمَعا .
فاطلُب الخيرَ من أهله ، واعلم أنّ خيراً من الخير مُعطِيه ، وشراً من الشر فاعلُه.

* * *

وقال أبو نواس :

أَتَتَبَّعُ الظُّرفاءَ أَكتُبُ عنهُمُ   كيما أُحدِّثَ مَن أُحِبُّ فيَضْحكا

وقال آخر :

قَدَرْتُ فلم أَتْرُكْ صَلاحَ عَشيرتى   وما العفوُ إلاّ بعدَ قُدْرةِ قادرِ

وقال آخر (١) :

أَخُو الجِدِّ إنْ جدَّ الرِّجالُ وشمَّرُوا   وذُو بَاطِلٍ إنْ شئت أَلهاكَ باطُله (٢)

قَبِيصة بن عمر المهلّبى ، أنّ رجلاً أتَى ابنَ أبى عُيَينة ، فسأله أن يكتب إلى دَاوُد بن يَزِيدَ (٣) كتاباً ، ففعل وكتب فى أسفله :

إنَّ امرأً قَذَفتْ إليكَ به   فِى البحرِ بعضُ مراكِبِ البَحرِ
تَجرِى الرِّياحُ بِهِ فَتَحمِلُه   وتَكُفُّ أحيانَاً فلا تَجْرِى
ويَرى المَنيَّةَ كُلَّما عَصفَتْ   رِيحٌ به لِلهَولِ والذُّعرِ
لَلمستحـــقُّ بأن تزوِّدَه   كُتُبَ الأمانِ له من الفقرِ (٤)

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما وجَد أحدٌ فى نفسه كِبْرًا إلاّ من مَهانة يجِدُها فى نفسه (٥) .

ودخل رجلٌ من بنى مخزوم ، وكان زُبيريا ، على عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له عبدُ الملك : أليس قد ردّك الله على عقِبَيك ؟ قال : أوَ مَن رُدّ إليك فقد رُدَّ على عَقِبيه ؟ فاستحيا وعلم أنه قد أساءَ .

---

(١) هو أخت يزيد بن الطثرية ، كما سبق فى (١ : ٢١٧) .
(٢) كذا على الصواب فى ل . وفيما عدا ل : « وذو باطل إن كان فى القوم باطل » .
(٣) كان فى « المولتان » من بلاد الهند ، كما فى الحيوان (٧ : ١١٤) .
(٤) هذا البيت من ل ، فقط .
(٥) انظر ما سبق فى ص ٧١ .

وقال المخبّل :

إذا أنتَ لاقَيتَ الرِّجالَ فلاقهمْ　　وعِرضكَ مِنْ غثِّ الأمُورِ سلِيمُ [١]

وقال النَّضْرُ بنُ خالِد :

كِبْرُهُ يَبلُغُ الكواكبَ إلاّ　　أنَّــــه فى مُروءَةِ البَقّـــالِ

٥ وقال خِداش بنُ زُهَيْر [٢] :

النّاسُ تَحتَكَ أقدَامٌ وأنتَ لهمْ　　رأسٌ فكيَفَ يُسَوَّى الرَّأس والقدمُ

إنَّا لَنعلمُ أنّـا مابقِيتَ لنـا　　فِينا السَّماحُ وفيناَ الجُودُ والكرَمُ

وحَسْبُنا مِن ثناءِ المادِحِينَ إذا　　أثَنوا عليك بأنْ يُثْنوا بِما عَلِمُوا

وقال ابن عبّاس رضى الله عنهما : كانت قريشٌ تألفُ منزلَ أبى بكر رضى

١٠ الله تعالى عنه لخصلتين : العلم والطعام [٣] ، فلما أسلَمَ أسلم عامّة مَن كان يجالسُه [٤] .

* * *

قال الأصمعىّ : وقف أعرابىٌّ يسأل فقال [٥] :

ألاَ فتًى أرْوَعَ ذا جَمَالِ　　مِن عَرَبِ النّاسِ أوِ المَوَالى

١٥ يُعِينُنِى اليومَ عَلَى عِيالى　　قد كَثُروا هَمِّى وقلٌّ مالى

وساقَهُمْ جَدبٌ وسُوءُ حالِ　　وقد مَلِلْتُ كَثرَةَ السُّؤالِ

وقال أعرابىّ :

يا ابْنَ الكِرامِ والِداً وولدَا　　لا تَحْرِمَنَّ سائلاً تعمّدَا

---

(١) أنشد له البحترى أيضاً فى الحماسة ٣٧٤ :

٢٠ ولا يعدم الغاوى على الغى لائماً　　وإن هو لم يشفق عليه يلوم

(٢) ل : « خالد بن زهير » ، وكلاهما شاعر . وقد تقدمت ترجمة خداش فى (٣ : ١٨) . وأما خالد بن زهير فهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٥٦) .

(٣) ما عدا ل : « للعلم والطعام » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « مجالسه » .

٢٥ (٥) كلمة « يسأل » ليست فى ل .

أَفْقَرَهُ دهرٌ عليهِ قد عَدا   مِن بَعْدِ ماكانَ قديماً سيِّدا

وقال أعرابى : اللهم أسألك قلباً توّاباً ، لا كافراً ولا مرتابا .

٣٤٢ وهَبَ رجلٌ لأعرابىّ شيئاً فقال : جعل الله للخير عليك دليلا ، وجعل عندك رِفْداً جزيلاً ، وأبقاك بقاءً طويلاً ، وأبلاك بلاءً جميلاً .

وقف أعرابىٌّ على قومٍ فمنعوه فقال : اللهم اشغَلْنا بذكرك ، وأعِذْنا من سُخْطك ، واجنُبنا إلى عفوك (١) ، فقد ضنَّ خَلْقك على خَلْقك برزقك ، فلا تشغَلْنا بما عندهم عن طلب ماعِندَك ، وآتِنا من الدُّنيا القُنعان (٢) ، وإن كان كثيرُها يُسخِطك ، فلا خيرَ فيما يسخطك .

الأصمعىّ قال : سمعتُ أعرابيا يدعو وهو يقول : اللهمّ اغفر لى إذ الصُّحف منشورة ، والتوبةُ مقبولة ، قبل أن لا أقدرَ على استغفارك ، حين ينقطعُ الأمل ، ويحضُرُ الأجل ، ويَفنَى العمل .

الأصمعى قال : سمعتُ أعرابيا يدعو وهو يقول : اللهم ارزقنى مالاً أُكبِت به الأعداء ، وبنينَ أصُولُ بهم على الأقوياء (٣) .

وكان مُنادِى سعد بن عُبَادة (٤) يقول على أُطُمِه (٥) : من أراد خُبزاً ولحماً

---

(١) جنبه : قاده إلى جنبه . وهذا ما فى ل . وفى هـ : « لجنتا » وسائر النسخ : « أولجْنا » . وقد أشير إلى رواية ل فى حواشى هـ عن نسخة .

(٢) ل : « القناعة » ، وهما سيان .

(٣) ل : « الأقرباء » .

(٤) هو الصحابى الجليل سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، سيد الخزرج ، وكان يحمل راية الأنصار ، وقد أبلى فى الإسلام بلاء حسنا ، وكان يكتب بالعربية ، ويحسن العوم والرمى،فكان يقال له الكامل لذلك . وكان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده وولده . وهو ممن تخلف عن بيعة أبى بكر . توفى بحوران ، أو ببصرى ، لسنتين ونصف من خلافة عمر ، أى فى سنة ١٥ . الإصابة ٣١٦٨ والمعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ وصفة الصفوة (١ : ٢٠٢) ، والاشتقاق ٢٦٩ . ويزعمون أن « سعد بن عبادة » ممن قتلته الجن . انظر الحيوان (٦ ، ٢٠٨ — ٢٠٩) وآكام المرجان للشبلى ١٣٧ .

(٥) الأطم ، بضمتين وبضمة : حصن مبنى بحجارة ، أو كل بناء مرتفع كالحصن .

فليأت أُطَمَ سعد . وخَلَفه ابنه قيسُ بن سعد ، فكان يفعل كفعله ، فإذا أكل الناسُ رفع يدَه إلى السماء وقال : اللهمَّ إنى لا أصلح على القليل ، ولا يصلُح القليلُ لى . اللهمّ هبْ لى حَمداً ومجداً ، فإنَّه لا حمدَ إلاّ بفَعَال ، ولا مجد إلاّ بمال .

وقال أعرابىٌّ : اللهم إنّ لك علىّ حقوقاً فتصدَّقْ بها علىّ ، وللناس علىَّ حقوقاً فأدِّها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيفٍ قِرًى وأنا ضيفك ، فاجعَلْ قِراىَ فى هذه اللّيلةِ الجنة .

وقفَ أعرابىٌّ على قومٍ يسألهم فأنشأ يقول :

هل مِن فتىً عِندَهُ خُفَّانِ يحمِلُنى ... عليهما إنَّنى شيخٌ على سَفَرِ
أَشْكُو إلى اللهِ أهوالاً أُمارِسُها ... مِن الصُّداعِ وأنِّى سَيِّئُ البصرِ
إذَا سَرَى القَومُ لمْ أُبصِرْ طرِيقَهُم ... إن لم يكُنْ عِندهم ضوءٌ مِنَ القَمرِ

الأخفش قال : خرج أعرابىٌّ يطلب الصَّدَقة ومعه ابنتان له [1] ، فقالت ابنتُه لمّا رأت إمساك الناس عنه :

يأيُّها الرَّاكبُ ذُو التَّعريسِ [2] ... هل فِيكُمْ مِن طارِدٍ لِلبُوسِ
عَن ذِى هُدَاجٍ بيِّنِ التَّقويسِ [3] ... بِفضلِ سِربالٍ لهُ دَرِيسِ [4]
أو فاضِلٍ مِنْ زَادِهِ خَسِيسِ [5] ... أثابَهُ الرَّحمنُ بالنَّفِيسِ

ووقف سائلٌ على الحسن فقال : رحِم الله عبداً أعطى من سَعَة ، أوْ آسى من كفاف ، أو آثرَ من قِلّة .

---

(١) ل : « سأل أعرابى ومعه ابنتان له » .

(٢) عنى بالراكب هنا الراكبين .

(٣) الهداج : بضم الهاء : مصدر هدج الشيخ فى مشيته : اضطرب فيها من الكبَر .

(٤) الدريس : الخلق البالى . ومثله الدرس والدرس ، بفتح الدال وكسرها .

(٥) ل : « من راحة خسيس » ، ولا وجه له .

وقال الطائىّ (١) :

فتًى كُلَّما فاضَتْ عيونُ قَبِيلةٍ دماً ضحِكَت عنهُ الأحادِيثُ والذِّكْرُ
فتًى مات بين الطَّعْنِ والضَّرْبِ مِيتة تقُومُ مَقامَ النَّصرِ إذْ فاتَه النَّصرُ (٢)

وقال (٣) :

بِكرٌ إذا ابتسمتْ أراكَ وَميضُها نَوْرَ الأقاَحِ برَملةٍ مِيعاسِ (٤) ٥
وإذا مَشَتْ تَرَكَتْ بصدرِكَ ضِعفَ مَا بِحُلِيِّهـا مِن كثرةِ الـوَسواسِ (٥)
قالت وقد حُمَّ الفِراقُ فكأسُهُ قد خُولِطَ السَّاقى بها والحاسِي (٦)
لا تَنْسَيَنْ تلكَ العُهودَ فإنَّما سُمِّيتَ إنساناً لأنَّكَ ناسِى
هدأتْ على تأْمِيلِ أحمدَ هِمَّتِى وأطافَ تقلِيدِى به وقياسِى (٧)
نَوْرُ العَرارةِ نَوْرُهُ ، ونسِيمُهُ نَشْرُ الخزامَى فى اخضِرارِ الآسِ (٨) ١٠
إقدامُ عَمرٍو فى سَماحةِ حاتِمٍ فى حِلْمِ أحنفَ فى ذَكاء إياسِ (٩)

---

(١) أبو تمام حبيب بن أوس ، من قصيدته المشهورة فى رثاء محمد وقحطبة وأبى نصر ، أبناء حميد الطوسى . ومطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(٢) فى الديوان ٣٦٩ : « إن فاته » . ١٥

(٣) من قصيدته التى يمدح بها أحمد بن المعتصم ، فى ديوانه ١٧٢ ، وأولها ،

ما فى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

(٤) الوميض : اللمعان ، عنى بريق ثناياها . والأقاحى : جمع أقحوان ، وحذف الياء منه لغة قوم ، وجاء بها قوله تعالى : (الكبير المتعال) و (يوم التناد) . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٦) . والأقحوان هو البابونج ، وزهره ذو ورق أبيض ووسطه أصفر ، كأنه ثغر جارية حدثة السن . والميعاس : التى تسوخ فيها الأرجل للينها . ٢٠

(٥) الوسواس : صوت الحلى . والوسواس أيضاً . حديث النفس .

(٦) حم الفراق : قدر . الحاسى : الشارب . وقد كنى بالساقى والحاسى عن المودع والمودع .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « بها » ، تحريف .

(٨) العرار ، والخزامى ، والآس ، من النبات الذكى الرائحة . ٢٥

(٩) عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائى ، والأحنف بن قيس ، وإياس القاضى .

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَه ... مَثَلاً شَرُوداً فى النَّدَى والباسِ [(١)]

فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِن المِشكاةِ والنِّبراسِ [(٢)]

وقال [(٣)] :

احفَظْ رَسائلَ شِعْرٍ فيكَ ، ماذَهَبَتْ ... خَواطِرُ البَرقِ إلاّ دُونَ ما ذهَبا [(٤)]

٥ يَغْدُون مُغتَرِباتٍ فى البِلادِ فما ... يَزَلْنَ يُؤْنِسنَ فى الآفاقِ مُغترِبا [(٥)]

ولا تُضِعْها فما فى الأرضِ أحسَنُ مِنْ ... نظمِ القوافِى إذا ماصادَفَتْ أدبا [(٦)]

* * *

٣٤٤ أُسر رؤبةُ فى بعض حروبِ تميمٍ فمُنِعَ الكلامَ ، فجعل يصرخُ :

---

(١) شرودا ، أى سائرا فى البلاد . وفى العمدة (١ : ١٩٠) : « وقولهم مثل شرود وشارد ، أى سائر لا يرد ، كالجمل الصعب الشارد الذى لا يكاد يعرض له ولا يرد » . ولهذا البيت وما قبله قصة مروية فى كتب كثيرة ، منها العمدة (١ : ١٢٨ ، ١٩٠) وأخبار أبى تمام للصولى ٢٣١ ، وهبة الأيام للبديعى ٢٥ . قال ابن رشيق : « ومن عجيب ماروى فى البديهة حكاية أبى تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى ، وهو فليسوف العرب :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء أياس

فقال له الكندى : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين بصعاليك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ، وما قدرهم ؟! فأطرق أبو تمام يسيراً ، وقال :

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شروداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

وقد قيل إن الكندى لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت قريباً . فكان كذلك » .

(٢) المشكاة : كل كوة ليست بنافذة ؛ ويقال إنها بلغة الحبَش . والنبراس : المصباح والسراج . إشارة إلى قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » .

(٣) من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبى ، معاتباً . مطلعها :

قل للأمير الذى قد نال ما طلبا ... ورد من سالف المعروف ما ذهبا

(٤) فى الديوان ٢٢ : « احفظ وسائل شعرى » ، وهى رواية محرفة .

(٥) وكذا رواية الديوان . وفيما عدا ل ، هـ : « يعددن » .

(٦) وكذا فى الديوان وفى ل : « فلا تضعها » . وفى الديوان : « إذا ما صادفت حسبا » .

يا صباحاه ، ويا بنِى تميمٍ أطلقوا من لسانى [١] .

وربّما قال الشّاعرُ فى هجائِه قولاً يعيب به المهجوَّ فيمتنع مِن فِعله المهجوُّ وإن كان لا يلحق فاعلَه ذمّ . وكذلِك إذا مدحه بشيءٍ أولِعَ بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدحٌ .

فمن ذلك تقدُّمُ كُلْثَمَ بنتِ سَرِيع مولى عمرو بن حُرَيث [٢] ، إلى عبد الملك بن عُمير [٣] ، وهو على قضاء الكوفة ، تُخاصِم أهلَها ، فقضى لها عبدُ الملك على أهلها ، فقال هُذَيل الأشجعىّ :

أتـاهُ وليـدٌ بالشُّهـودِ يقُودهُـــمْ ... على ما ادَّعَى مِن صامِتِ المالِ والخَوَلْ [٤]

وجـاءَت إليـهِ كُلْثُـمٌ وكَلامُهـــا ... شِفاءٌ مِن الدّاءِ المُخامِرِ والخَبَلْ [٥]

فأَدْلى وليـدٌ عِنـدَ ذاكَ بحقِّـــهِ ... وكانَ وليــــدٌ ذا مِراءٍ وذا جَدَلْ

وكانَ لها دَلٌّ وعينٌ كحيلَـــــةٌ ... فأَدْلَتْ بحُسنِ الدَّلِّ مِنها وبالكَحَل

فَفَتَّنَتِ القِبْطِىَّ حَتى قضَى لهَا ... بِغير قضاءِ اللهِ فى السُّوَرَ الطُّوَلْ [٦]

---

(١) سبق هذا الخبر فى (١ : ٢١٤) .

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم القرشى ، له ولأبيه صحبة ، وجده لأمه هو هشام بن خلف الكنانى الذى زعموا أنه بال على رأس النعمان بن المنذر فتحول عن دين العرب وتنصر . ومن موالى عمرو بن حريث أيضا عمر بن العلاء الذى يقول فيه بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمراً ثم نم

ولى ابن حريث الكوفة نيابة لزياد وابنه عبيد الله بن زياد . الإصابة ٥٨٠٣ ، والمعارف ١٢٧

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٥٦) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٦٣) .

(٤) صامت المال : الذهب والفضة . وناطقه : الإبل والغنم . والخول : العبيد والخدم .

(٥) ضبطت « كلثم » بضم الكاف والثاء فى هـ فى هذا البيت والكلام قبله .

(٦) ل : « فقتلت » . والقبطى ، هو عبد الملك بن عمير ، كما سبق فى ترجمته . وكان يقال له أيضا : « ابن القبطية » كما فى تهذيب التهذيب . وكان يقال له أيضا : « منفر الغيلان » لدمامته وقبحه ، كما فى المعارف ٢٠٨ . وفى أنساب السمعانى ٤٤١ ب أنه سمى « القبطى » باسم فرس سباق له يسمى القبطى . والطول ، بضم ففتح : جمع الطولى . والطول : سبع سور من الكتاب ، منها ست متواليات أولها البقرة ، واختُلِف فى السابعة ، فقيل الأنفال وبراءة ، وعدتا فى ذلك سورة واحدة ، وقيل السابعة يونس .

فلو كانَ مَن بالقصرِ يَعلمُ عِلمَه   لمَا استُعْمِلَ القِبْطِىُّ فينا على عمَلْ

لهُ حِينَ يقضى لِلنِّسَاءِ تَخاوُصٌ   وكانَ وما فيهِ التَّخاوُصُ والحَولْ [١]

إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتهُ بحاجةٍ   فهَمَّ بأن يَقضى تَنحنَح أو سَعَل

وبرَّق عَينَيهِ ولاكَ لِسانَهُ   يَرى كلَّ شىءٍ مَا خلا شَخصَها جَلَلْ [٢]

قال : فقال عبدُ الملك : أخزاه الله ، والله لربَّما جاءتنى السَّعلة أو النَّحنحةُ وأنا فى المتوضَّأ [٣] فأذكر قولَه فأردُّها لذلك .

وزعم الهيثم بن عدىّ عن أشياخه ، أنّ الشّاعر لما قال فى شَهْر بن حَوشب [٤] :

لقد باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بخَرِيطةٍ   فمَن يَأمَنُ القُرَّاءَ بَعدَكَ يا شَهْرُ [٥]

مامسَّ خريطةً حتّى مات .   ٣٤٥

وقال رجلٌ من بنى تغلب ، وكان ظريفاً : ما لقِىَ أحدٌ من تغلبَ ما ألقى أنا [٦] ! قلت : وكيفَ ذاك ؟ قال : قال الشاعر [٧] :

لا تَطلُبَنَّ خُؤُولةً فى تَغلِبٍ   فالزِّنجُ أكرَمُ مِنهُمُ أخوالا [٨]

---

(١) التخاوص : أن يغض من بصره شيئاً ، وهو فى كل ذلك يحدق النظر .

(٢) الجلل من الأضداد ، يقال للعظيم وللحقير ، وأراد هنا المعنى الأخير .

(٣) ل : « السعلة والنحنحة فى المتوضأ » .

(٤) هو شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . كان فقيهاً قارئاً عالما ، روى عن أبى هريرة وعائشة وبلال وغيرهم ، وعنه قتادة ، وعاصم بن بهدلة ، وداود بن أبى هند وجماعة . اختلف فى توثيقه ، ويزعمون أنه كان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم فقيل فيه هذا الشعر . وروى ابن قتيبة أيضا أنه رافق رجلا من أهل الشام فسرق عيبته . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ وثمار القلوب ١٣٣ وعيون الأخبار (٢ : ١٣٨) .

(٥) الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تشرج على مافيها .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ما لقيت أنا » .

(٧) هو جرير ، من قصيدة له فى ديوانه ٤٤٨ — ٤٥٣ يهجو بها الأخطل التغلبى ، مطلعها :

حَىِّ الغداة برامة الأطلالا   رسماً تحمل أهله فأحالا

(٨) هذا البيت لم يرد فى ل ، وإثباته من سائر النسخ .

لوْ أنَّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أحسابَها يومَ التَّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثقالا [(١)]
تَلْقاهُمُ حُلماءَ عن أعدائهمْ وعلى الصَّدِيقِ تَراهُمُ جُهّالا
والتَّغْلَبِىُّ إذا تَنحنحَ لِلقِرَى حكّ استَهُ وتمثَّلَ الأمثالا [(٢)]

واللهِ إنِّى لأتوهّم أنْ لو نهشت [(٣)] استِى الأفاعى ماحككتُها .

٥

* * *

وكان الشّاعر أرفعَ قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج ، لردِّه مآثرهم عليهم [(٤)] وتذكيرهم بأيّامهم ؛ فلمّا كثُر الشُّعراء وكثُر الشّعر صارَ الخطيبُ أعظَمَ قدراً من الشّاعر .

والذين هَجَوا فوضَعوا مِن قدر مَن هجَوه ، ومَدحوا فرفعوا مِن قدْر من مَدحُوا ، وهَجاهم قومٌ فردُّوا عليهم فأفحَموهم ، وسكَتَ عنهم بعضٌ من هجاهم مخافةَ التعرُّض لهم ، وسكتوا عن بعض مَن هجاهم [(٥)] رغبةً بأنفسهم عن الردّ عليهم ، وهم إسلاميّون [(٦)] : جرير ، والفرزْدق ، والأخطل . وفى الجاهلية : زهير ، وطَرَفَة ، والأعشى ، والنابغة . هذا قول أبى عبيدة .

١٠

---

(١) فى الديوان : « يوم التفاضل » .

(٢) فى حواشى هـ : « خ : تُنَبّح » . وفى العمدة (٢ : ١٤٦ – ١٤٧) : « قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

وقال هو :

والتغلبى إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

فلم يبق سقّاء ولا أمة إلا روته » .

(٣) ل : « لو حكت » .

(٤) ل : « بمآثرهم عليهم » .

(٥) ما عدا ل : « وسكتوا عمن هجاهم » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « وهم فى الإسلام » .

١٥ ٢٠ ٢٥

وزعَم أبو عمرو بن العلاء : أنّ الشّعر فُتح بامرىء القيس وخُتِم بذى الرُّمّة .

ومن الشعراء مَن يُحكم القريض ولا يُحسِن من الرَّجَز شيئاً ، ففى الجاهليّة منهم : زُهير ، والنابغة ، والأعشى . وأما مَن يجمعهما فامرؤ القيس وله شيءٌ من الرجز ، وطرفة وله كمثلِ ذلك ، ولبيد وقد أكثَر .

٥ ومن الإسلاميّين مَن لايَقدر على الرّجز وهو فى ذلك يُجيد القريض : كالفرزدق وجرير ؛ ومَن يجمعهما فأبو النجم [(١)] ، وحُميدٌ الأرقط ، والعُمانىّ ، وبَشّار بن برد . وأقلُّ مِن هؤلاء يُحكم القصيدَ والأرجاز والخطب . وكان الكميتُ ، والبَعيث ، والطِّرِمّاح شعراءَ خطباء ، وكان البَعيثُ أخطبَهم . وقال يونس : لئن [(٢)] كان مغلَّباً فى الشّعر لقد كان غلَّب فى الخُطَب .

١٠ وإذا قالوا : غلَّب فهو الغالب [(٣)] . ٣٤٦

وقال الحسين بن مُطيرٍ الأسدىّ [(٤)] :

فَيا قبرَ مَعْنٍ كنتَ أوَّلَ حُفرَةٍ ... مِن الأرضِ خُطّتْ لِلمكارِمِ مضجَعا [(٥)]

فلمَّا مَضَى معن مَضَى الجُودُ وانقضَى ... وأصبحَ عِرنينُ المكارِمِ أجدَعا [(٦)]

فتًى عِيشَ فى معروفِهِ بَعدَ مَوتِه ... كما كان بعدَ السَّيلِ مجراهُ مَرتَعا

١٥ تَعزَّ أبَا العباسِ عنهُ ولا يكُنْ ... جزاؤُكَ مِن مَعنٍ بأنْ تَتضَعْضَعَا

فما ماتَ مَنْ كُنتَ ابنَهُ لا ولا الّذِى ... لهُ مِثلُ ماأسدَى أبُوكَ وما سَعَى [(٧)]

تمنَّى أُناسٌ شأْوَهُ مِن ضلالِهِمْ ... فأضحَوْا على الأذقانِ صَرْعَى وظُلَّعا

---

(١) ل : « ومن يجمعهما أبو النجم » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « إن » .

٢٠ (٣) انظر ماسبق فى (١ : ٣٧٤ / ٢ : ٣١٢ / ٣ : ١١) ، واللسان (غلب) ، ففيه : « وغلب الرجل فهو غالب : غَلب ، وهو من الأضداد » .

(٤) مضت ترجمته فى (٣ : ٢٣٧) . وكذا سبق إنشاد الأبيات وتخريجها وتفسيرها .

(٥) ل : « أجمعا » وكتب فوقها : « مضجعا » . وفى هـ : « للسماحة » فوق : « للمكارم » عن نسخة .

٢٥ (٦) ما عدا ل : « الجود والندى » .

(٧) ما عدا ل : « ما سدى أبوك » .

وقال مسلمٌ الأنصاريّ يَرثى يزيدَ بنَ مَزْيد :

قبرٌ بِبَرْذَعَة استسَرَّ ضَرِيحُهُ خطراً تقاصَرُ دُونَهُ الأخطارُ (١)
أبْقَى الزَّمانُ على مَعَدٍّ بعدَهُ حُزناً كَعُمْرِ الدَّهرِ ليسَ يُعارُ (٢)
نَفَضَتْ بكَ الآمالُ أحلاسَ الغِنى واستَرْجَعتْ نُزَّاعَها الأمصارُ (٣)
فاذهَبْ كما ذَهَبتْ غَوادِى مُزْنةٍ أثْنى عليها السَّهلُ والأوعارُ ٥

وقال هَمّام الرَّقاشىّ (٤) :

أبْلِغْ أبَا مِسْمَعٍ عنّى مُغلغَلةً وفى العِتَابِ حياةٌ بينَ أقوامِ
قَدَّمْتَ قبلِى رِجالاً لم يَكُنْ لهُمُ فِى الحقِّ أن يَلِجُوا الأبوابَ قُدّامِى
لو عُدَّ قَبْرٌ وقبرٌ كُنْتُ أكرَمَهمْ قبراً وأبعدَهُمْ مِن مَنزِلِ الذّامِ
حتَّى جَعَلتُ إذا ماحاجةٌ عَرَضتْ بِبابِ قَصرِكَ أدلُوهَا بأقوامِ (٥) ١٠

٣٤٧ وقال الأُبيرِدِ الرِّياحىّ (٦) يرثى أخاه :

فتًى إن هُوَ استغنَى تَخرَّقَ فى الغِنى وإنْ قَلَّ مالٌ لم يَؤُدْ مَتنَهُ الفقرُ (٧)

---

(١) سبقت الأبيات وتخريجها وتفسيرها فى (٣ : ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٢) ما عدا ل : « لعمر الدهر » .

(٣) فى (٣ : ٢٣٩) : « نفضت به » . ١٥

(٤) مضت الأبيات فى (٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢) . هـ : « هاشم الرقاشى » ، وفوقها « هشام » عن نسخة .

(٥) ل : « بباب دارك » .

(٦) ويقال له أيضاً : « الأبيرد اليربوعى » . وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمىّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر فصيح بدوى ، من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية . الأغانى (١١ : ٩ - ١٥) ، والمؤتلف والمختلف ٢٤ . ٢٠

(٧) الأبيات من قصيدة له فى الأغانى (١١ : ١٤ - ١٥) وأمالى القالى (٣ : ٢ - ٤) والعقد (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٥) طبع لجنة التأليف . وروى بعضها فى المؤتلف ٢٤ والحماسة (١ : ٤٤٧) . تخرق فى الغنى : توسع . لم يؤد : لم يثقل . الأغانى : « فإن قل مالا » . الأمالى والعقد : « وإن كان فقر » . المؤتلف : « وإن كان فقراً » . الحماسة : « وإن قل مال لم يضع متنه الفقر » . ٢٥

وسَامَى جَسِيماتِ الأُمورِ فنالها
على العُسرِ حَتّى يُدرِكَ العُسْرَةَ اليُسر (١)

تَرَى القَومَ فى العَزَّاءِ يَنتظِرُونَــهُ — إذا شكَّ رَأْىُ القَومِ أو حَزبَ الأَمرُ (٢)

فليتَكَ كُنتَ الحَىَّ فى النّاس باقيًا — وكُنْتُ أنا المَيْتَ الَّذِى غَيَّبَ القبرُ (٣)

٥ لقد كُنْتُ أستَعفِى الإلهَ إذا اشتكَى — مِنَ الأَجرِ لى فيهِ وإنْ سَرَّنى الأَجرُ (٤)

وأجزَعُ أَنْ يَنأَى بِهِ بَينُ لَيْلَةٍ — فكَيفَ بِبينٍ صار مِيعادُهُ الحَشرُ (٥)

وقال أبو عبيدة : أنشدنى رجلٌ من بنى عِجل (٦) :

وكنتُ أُعِيرُ الدَّمعَ قبلكَ مَن بكَى — فأَنتَ على مَن مات بَعدكَ شاغِلُهْ

لقد رَحَل الحىُّ المُقيمُ وودّعُوا — فتًى لم يكُنْ يأذَى به مَن يُنازِلُه (٧)

١٠ ولم يَكُ يخشى الجَارُ مِنهُ إذا دَنا — أذاهُ ولا يخشى الحَرِيمَةَ سائلُه (٨)

فتًى كان لِلمعْروفِ يَبسُطُ كَفَّهُ — إذا قُبِضَتْ كَفُّ البخِيل ونائِلُه

* * *

(١) ل فقط : « وساس » بدل : وسامى . الحماسة والأغانى : « حتّى أدرك العسر اليسر » .

(٢) العزاء : السنة الشديدة . العقد : « إذا شتَّ » . المؤتلف والأغانى : « إذا ضلَّ » .

١٥ (٣) الأمالى والعقد : « الذى ضمه القبر » . المؤتلف : « الذى أدرك الدهر » .

(٤) الأمالى والعقد : « وقد كنت أستعفى » .

(٥) هذا البيت انفرد الجاحظ بروايته .

(٦) الشعر التالى للشمردل بن شريك اليربوعى ، يرثى أخاه وائلا . انظر حماسة ابن الشجرى ٨٣ وأمالى القالى (٣ : ٦٢) والأغانى (١٢ : ١١٣) . والشمردل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كان فى أيام

٢٠ جرير والفرزدق . الأغانى والشعراء ٦٨٥ .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « لم يكن بإزائه » ، تحريف . وهذا البيت وتالياه مما انفرد الجاحظ بروايته .

(٨) الحريمة : مصدر من مصادر حرم ، يقال حرمه حرماناً وحِرماً وحريماً وحِرمة وحَرمة وحريمة .

قال : دخل مَعْنُ بنُ زائِدةَ على أبى جعفرٍ المنصور ، فقارَبَ فى خَطْوه فقال المنصور : لقد كبِرتْ سنُّك ! قال : فى طاعتك . قال : وإنّك لَجَلْدٌ ! قال : على أعدائك [١] . قال : وأرى فيك بقيّة ! قال : هى لك .

* * *

قال : كتب عبدُ الملك بن مَرْوان إلى عمرِو بن سعيدٍ الأشدقِ [٢] ، حينَ خرج عليه :

أمّا بعد ، فإنّ رحمتى لك تصرفُنى عن الغضب عليك ، لتمكّن الخُدَع منك ، وخِذلانِ التّوفيق إياك . نهضتَ بأسبابٍ وَهَّمَتْكَ أطماعُك أن تستفيد بها عِزًّا ، كنت جديراً لو اعتدلت أن لا تدفع بها ذُلاًّ . ومَن رحَلَ عنه حسنُ النظر واستوطنَتْه الأمانى ملَكَ الحَينُ تصريفَه ، واستترت عنه عواقبُ أمره . وعن قليلٍ يتبيَّن مَن سلك سبيلَك ، ونهض بمثلِ أسبابك ، أنّه أسيرُ غَفْلة ، وصريع خَدْعٍ ، ومَغيض ندَم . والرَّحِم تَحمِل على الصَّفح عنك مالم تحلُل بك عواقبُ جهلك ، وتزجُرْ عن الإيقاع بك . وأنت ، إن ارتدعتَ ، فى كنَفٍ وسِتر . والسلام .

فكتب إليه عمرو :

أمّا بعدُ ، فإنّ استدارجَ النِّعَم إياك أفادَك البغْىَ ، ورائحة القُدْرة أورثَتْك الغفلة . زجرت عمّا واقعتَ مثلَه ، ونَدَبت إلى ما تركتَ سبيلَه . ولو كان ضَعفُ الأسبابُ يُؤْيِس الطّلاّبَ ما انتقل سلطانٌ ، ولا ذلَّ عِزٌّ [٣] . وعمّا قليل [٤] تتبيَّن

---

(١) ل : « قال لأعدائك » . والخبر رواه ابن خلكان فى ترجمة (معن بن زائدة) . وزاد فى نهاية الخبر : « وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال : ويح هذا ما ترك لربه شيئا » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٤) .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « عزيز » .

(٤) ما عدا ل : « وعن قليل » .

مَن أسير الغفلة ، وصريع الخُدَع . والرَّحِم تَعطِف على الإبقاء عليك ، مع دفعك ما غيرُك أقْوَمُ به منك . والسلام

* * *

قال أبو الحسن : كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك [(١)]

أمّا بعدُ فإنّك كَتبتَ تذكر أنَّ عاملا أخذ مالك بالحَمَّةِ [(٢)] وتزعم أنّى من الظالمين ! وإنَّ أظلَمَ مِنّى وأترَكَ لعهد الله مَن أمَّرَكَ صَبيًّا سفيهاً على جيش من جيوش المسلمين ، لم تكن له فى ذلك نية إلاّ حبُّ الوالد لولِده [(٣)] . وإنّ أظلَمَ منّى وأتركَ لعهد الله لأنت . فأنت عُمَر بن الوليد ، وأُمُّك صَنّاجة [(٤)] تدخل دُورَ حِمْص ، وتطوفُ فى حوانيتها ! رويدَك أنْ لو قد التقت حَلْقتا البطان [(٥)] لحملتُك وأهلَ بيتِك على المَحَجَّة البيضاء [(٦)] ، فطالما ركِبتُم بُنَيّاتِ الطريق [(٧)] . مع

---

(١) ل : « عمر بن الوليد » فقط .

(٢) الحمة : اسم لعدة مواضع

(٣) ل : « لم يكن له فى ذلك نية إلا حبّ الوالد ولده » .

(٤) الصناجة : التى تضرب بالصنج ، وهو الدف ونحوه ، أو هو الذى يتخذ من صفر يضرب أحدهما الآخر ، أو الصنج ذو الأوتار الذى يلعب به .

(٥) يضرب هذا مثلا للأمر إذا اشتد . والبطان بالكسر : حزام الرحل والقتب . وفى أمثال الميدانى (٢ : ١٢١) : « يقولون : البطان للقتب . والحزام الذى يجعل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان فإذا التقتا فقد بلغ الشدّ غايته . يضرب فى الحادثة إذا بلغت النهاية »

(٦) المحجة : الطريق .

(٧) بنيات الطريق ، بهيئة التصغير ، هى الصعاب والمعاسف . يقال للرجل إذا وعظ : الزم الجادة ، ودع بنيات الطريق . وقال محمود الوراق :

تنكب بنيات الطريق وجَورها ۝ فإنك فى الدنيا غريب مسافر

ثمار القلوب ٢٢١ . ويقال أيضاً بالتكبير ، وفى اللسان (طرق) : « وبنات الطريق التى تفترق وتختلف فتأخذ فى كل ناحية » . وأنشد لأبى المثنى الأسدى :

« إذا الطريق اختلفت بناته »

أنّى قد هممت أن أبعثَ إليك مَن يحلق دلادلك (١) ! فإنّى أعلم أنّها مِن أعظم المصائب عليك . والسلام .

* * *

قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروانَ شديدَ اليَقَظة ، وكثيرَ التعهُّد (٢) لوُلاته ، فبلَغه أنَّ عاملا من عُمّاله قبِل هديّة (٣) ، فأمرَ بإشخاصه إليه ، فلمّا دخَل عليه قال له : أقَبِلت هديّةً (٤) منذ ولّيتك ؟ قال له : يا أمير المؤمنين ، بلادُك عامرة ، وخَراجُك موفور ، ورعيّتُك على أفضل حال ! قال : أجبْ فيما سألتك عنه ، أقبِلْتَ هديّةً منذ ولّيتك ؟ قال : نَعم . قال : لئن كنتَ قبلت هديّة ولم تعوِّضْ إنك للئيم . ولئن أنلتَ مهديَك لا من مالك أو استكفيتَه ما لم يكن يُستكفاه ، إنك لجائر خائن . ولئن كان مذهبُك أن تعوِّض المهدِىَ إليك مِن مالك،وقَبِلت ما اتّهمك به عند مَن استكفاك وبَسَطَ لسانَ عائبك ، وأطمع فيك أهلَ عملك ، إنّك لجاهل . وما فى مَنْ أتى أمراً لم يخْلُ فيه من دناءةٍ أو خيانة أو جهلٍ ، مصطنعٌ ! نحّاه عن عمله .

* * *

قال أبو الحسن : عَرَض أعرابىٌّ لعتبةَ بن أبى سفيان وهو على مكّة فقال : أيُّها الخليفة ! قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : يا أخاه . قال : أسْمَعْتَ . فقال (٥) : شيخٌ من بنى عامرٍ يتقرَّب إليك بالعُمومة ، ويختصُّ بالخؤولة ، ويشكو إليك

---

(١) ل : « ذلاذلك » تحريف . وفى حواشى هـ : « التدلدل مثل التهدل ، وهو استرخاء الشعر . ويوصف به غير ذلك على التشبيه والاستعارة » .

(٢) يقال تعهد الشىء وتعاهده : تفقده . والتعهد أفصح من التعاهد . وقيل إن قولهم : تعاهدت الشىء ، خطأ . ما عدا ل : « التعاهد » .

(٣) الكلام بعده إلى : « عليه » ساقط من ل .

(٤) ل : « فقال له : هل قبلت هدية » .

(٥) ما عدا ل : « قال » .

كثرةَ العِيال ووطْأة الزمان ، وشدّةَ فقرٍ وترادُفَ ضُرّ ، وعندك ما يسَعُه ويَصرِف عنه بؤسَه ! قال : أستغفر اللهَ منك ، وأستعينُه عليك ، قد أمَرت لك بغناك ، ولَيْتَ إسراعى إليك يقوم بإبطائى عنك .

* * *

وقال أعرابىٌّ يَعِيب قوماً : هم أقلُّ النّاس ذُنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرُهم جُرماً إلى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويُفطِرون على الفَحْشاء .

وقال مُجّاعَةُ بنُ مُرارة [١] ، لأبى بكرٍ الصدّيق رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرأىُ عند من لا يُقبَل منه ، والسِّلاحُ عند من لا يستعمله [٢] ، والمالُ عند مَن لا ينفقه [٣] ، ضاعت الأمور .

الأصمعىُّ قال : نَعتَ أعرابىٌّ رجلا فقال : كأنَّ الألسنَ والقلوبَ رِيضت له ، فما تنعقِد إلا على وُدِّه ، ولا تنطق إلّا بحمده [٤] .

وقال أعرابىٌّ : وَعْد الكريم نقد وتعجيل ، ووَعد اللئيم مَطلٌ وتعليل .

أتى أعرابىٌّ عمر بن عبد العزيز فقال : رجلٌ من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة ، واللهُ يسألُك عن مَقامى غداً [٥] ! فبكى عمر .

---

(١) هو الصحابى الجليل مجاعة بن مرارة بن سلمى – وقيل سليم – الحنفى اليمامى ، كان من رؤساء بنى حنيفة ، وممن أسر يوم اليمامة من أتباع مسيلمة . واستبقاه خالد بن الوليد ووجَّهه إلى أبى بكر ، وتزوج خالد بنته . وعاش إلى خلافة معاوية . وفيه يقول :

تعذرت لما لم تجد لك علة   معاوى إن الاعتذار من البخل
ولا سيما إن كان من غير عسرة   ولا بغضة كانت علىّ ولا ذحل

الإصابة ٧٧١٦ والمرزبانى ٤٧٢ والاشتقاق ٤٧٢ والقاموس (مجع) . وفى الأصول : « ابن مرار » ، صوابه من المراجع المتقدمة .

(٢) ل : « يستعملها » . وفى اللسان أن السلاح « يؤنث ويذكر والتذكير أعلى » . وفى الإصابة : « عند من لا يقاتل به » .

(٣) فى الإصابة : « عند من لا ينفعه » ، بالعين .

(٤) ما عدا ل : « إلا بثنائه » .

(٥) ل : « هذا » .

قال الشاعر :

ومن يُبقِ مالاً عُدَّة وصيانة فلا البُخْل مُبقيهِ ولا الدَّهرُ وافِرُه [١]

وَمَن يكُ ذَا عُودٍ صَليب يُعِدُّهُ ليَكسِرَ عُود الدَّهرِ فالدَّهرُ كاسِرُهْ

وقال أبَان بن الوليد لإياسٍ بن معاوية : أنا أغنَى مِنك ! فقال إياس : بل أنا أغنى منك ! قال أبان : وكيف ، ولى كذا وكذا ! وعَدَّدَ أموالا . قال : لأنَّ كسبَك لا يفضُل عن مؤونتك ، وكَسبى يفضُل عن مؤونتى . ٥

* * *

وكان يقال : حاجبُ الرَّجل عامِلُه على عِرضه .

٣٥٠ وقال أبو الحسن : رأيتُ امرأةً أعرابية غَمّضَتْ مَيْتا وترحَّمت عليه ثم قالت : ما أحقَّ مَن أُلبس العافية ، وأطِيلت له النَّظِرة أن لا يعجِزَ عن النَّظر لنفسه ، قبلَ الحلول بساحته ، والحيالة [٢] بينه وبين نفسه ! ١٠

وقال ابن الزُّبير لمعاويةَ حين أراد أن يبايعَ لابنه يزيد : تقُدِّم ابنَك على مَن هو خيرٌ منه ؟ قال : كأنَّك تُريد نفسَك ؟ إنّ بيتَه بمكّة فوقَ بيتك ! قال ابن الزبير : إنّ الله رفع بالإسلام بيوتاً ، فبيتى مما رَفَع ! قال معاوية : صدقتَ ، وبيتُ حاطبِ بن أبى بَلْتعة [٣] ! ١٥

وقال : عاتَبَ أعرابىٌّ أباه فقال : إنّ عظيمَ حقِّك علىَّ لا يُذهِبُ صغيرَ

---

(١) ل : « متى تبق » و « فلا الشح » .

(٢) الحيالة ، عنى بها الحول والحؤول ، وهو مصدر حال الشىء بين الشيئين . ولفظ « الحيالة » هذا لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٣) هو حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير ، كان حليف الزبير ، وكان من أصحاب رسول الله ، فارساً شاعراً ، وشهد بدراً ، وأخذ عليه أنه كتب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ، فنزل فيه قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) . وهو الذى بعثه رسول الله إلى المقوقس ملك الإسكندرية بكتاب من قِبله . ومات سنة ثلاثين فى خلافة عثمان . الإصابة ١٥٣٣ . ٢٠

حقِّى عليك ، والذى تُمتُّ إلىَّ أمُتُّ بمثله إليك ، ولستُ أزعُم أنّا سواء ، ولكنْ أقول [١] : لا يحِلُّ لك الاعتداء .

قال : مدَحَ رجلٌ قوماً فقال . أدّبَتْهمُ الحكمة ، وأحكمَتْهم التَّجارِب ، ولم تغرُرْهم السّلامةُ المنطوِية على الهَلَكة ، ورحَلَ عنهم التّسويفُ الذى قطع الناس به مَسافةَ آجالهم ، فأحسَنُوا المقال ، وشَفَعوه بالفَعال .

وقال بعض الحكماء : التّواضع مع السّخافة والبُخْل ، أحمَدُ [٢] عند العلماء من الكبر مع السَّخاء والأدب . فأعظِمْ بحسَنةٍ عَفّت على سيِّئتين [٣] ، وأفظِعْ بعيبٍ أفسَدَ من صاحبه حسنتين .

وقيل لرجل – أُراه خالدَ بنَ صفْوان – : مات صديقٌ لك ! فقال : رحمةُ الله عليه ، لقد كان يملأ العينَ جمالا ، والأذنَ بياناً ، ولقد كان يُرجَى ولا يَخْشَى ، ويُغْشَى ولا يَغشَى ، ويُعطِى ولا يُعطَى ، قليلاً لدى الشّرِّ حضورُه ، سليماً للصَّديق ضميره .

وقام أعرابىٌّ ليَسأل فقال : أينَ الوُجوه الصِّباح ، والعقولُ الصِّحاح ، والألسن الفِصاح ، والأنساب الصِّراح [٤] ، والمكارم الرِّباح [٥] ، والصُّدور الفِساح ، تُعيذُنى من مَقامى هذا ؟!

ومَدحَ بعضُهم رجلاً فقال : ما كان أفسَحَ صدرَه ، وأبعَدَ ذِكرَه ، وأعظَمَ قَدْره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرَفَه ، وأربَحَ صَفقةَ مَن عرَفَه [٦] ، مع سعة الفِناء ، وعظم الإناء ، وكرم الآباء .

---

(١) ما عدا ل : « ولكنى أقول » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أحب » .

(٣) عفت عليهما : أذهبتهما . ما عدا ل ، هـ : « عفت عن سيئتين » .

(٤) الصراح : جمع صريح ، وهو المحض الخالص .

(٥) الرباح : جمع ربيح ، وهو ما فيه ربح .

(٦) الصفقة : المرة من الصفق ، وهو البيع .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صُوحان [١] . والله ما عَلِمتُ إنّك لكثير المعونة ، قليل المؤونة ؛ فجزاك الله خيراً ! فقال صعصعة : وأنت فجزاك الله أحسنَ ذلك [٢] ، فإنّك ما علمت بالله عليم ، والله فى عينِك عظيم .

* * *

٣٥١ قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح [٣] ابناً له فقال : أىْ بنىَّ ، احلُم فإنّ مَن حلُم ساد ، ومن تفهَّم ازداد ، والقَ أهلَ الخير ، فإنّ لقاءَهم عِمارةٌ للقلوب ، ولا تجمَحْ بك مَطِيّة اللَّجاج [٤] . ومنك مَن أعتبك [٥] ، والصاحبُ مُناسِب [٦] ، والصَّبر على المكروه يَعصِم القلب . المِزاحُ يورث الضغائن ، وحُسن التَّدبير مع الكَفاف خيرٌ من الكثير مع الإسراف ، والاقتصاد يثمِّر القليل ، والإسراف يُتَبِّر الكثير [٧] . ونعِم الحظُّ القناعة ، وشرُّ ما صحِب المرءُ الحسد ، وما كلُّ عَورةٍ تُصاب [٨] . وربَّما أبصر العَمِى رشدَه [٩] ، وأخطأ البصيرُ قصْدَه . واليأس خيرٌ من الطَّلب إلى الناس . والعِفّة مع الحِرفة خير من الغنى مع الفُجور .

---

(١) مضت ترجمته فى (١ : ٩٩) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أحسن من ذلك » .

(٣) ترجم فى (١ : ٣٣٤) . وانظر وصيتين أخريين له فى عيون الأخبار (١ : ٢١ ، ١٠٩) .

(٤) جمحت به مطيته : ذهبت تجرى جريا غالباً لا يردها اللجام . ل : « تجنح » بمعنى تميل .

(٥) أعتبنى فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله ورجع إلى ما أرضانى بعد إسخاطه إياى عليه .

(٦) أى بمنزلة النسيب .

(٧) يتبر : يهلك ويدمر . ماعدا ل : « يبير » أباره : أهلكه .

(٨) العورة : خلل فى الثغر يتخوف منه القتل .

(٩) العمى : الأعمى ، ووزنه فعِل ، رجل عم والمرأة عمية ، وجمعه عمون وعمِيّات .

أرفقْ فى الطَّلب وأجملْ فى المكسب ، فإنّه ربَّ طلَبٍ قد جرَّ إلى حَرَبٍ[(١)]. ليس كلُّ طالبٍ بمُنْجِح[(٢)] ، ولا كلُّ ملحّ بمحتاج ، والمغبونُ من غُبن نصيبَه من الله . عاتِبْ مَن رجوت عُتباه ، وفاكِهْ مَن أمِنت بَلواه . لا تكن مِضحاكاً من غير عَجَب ، ولا مشّاءً إلى غير أرَب . ومَن نأى عن الحقِّ ضاق مذهبُه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعمَ لباله . لا يكبرنَّ عليك ظُلمُ مَن ظلمك ، فإنّه إنَّما سعى فى مَضرّته ونَفْعِك . وعوِّد نفسَك السَّماح ، وتخيَّرْ لها مِن كلِّ خلُق أحسنَه ، فإنّ الخيرَ عادة ، والشرَّ لجاجة ، والصدودَ آيةُ المقت ، والتعلُّلَ آية البخل . ومن الفقه كِتمان السر[(٣)] ، ولِقاح المعرفةِ دراسةُ العلم ، وطولُ التّجاربِ زيادةٌ فى العقل ، والقناعةُ راحة الأبدان . والشَّرف التَّقوى . والبلاغةُ معرفة رَتْقِ الكلام وفتقِه . بالعقل تُستخرَج الحكمة ، وبالحِلْم يُستخرج غور العَقْل[(٤)] ، ومن شمَّر فى الأمور ركب البُحور . شرُّ القول ما نقضَ بعضُه بعضا . من سَعَى بالنَّميمة حَذِرَه البعيد ، ومقَته القريب. مَن أطال النّظرَ بإرادةٍ تامّة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع[(٥)] . مَن أسرف فى الأمور انتشرَتْ عليه ، ومن اقتصَدَ اجتمعت له . واللَّجاجة تورث الضَّياعَ للأمور . غِبُّ الأدب أحمد من ابتدائه . مبادرةُ الفهم تورِث النِّسيان . سوءُ الاستماع يُعقِب العِيّ . لا تحدِّث مَن لا يقبِل بوجهه عليك ، ولا تنصِتْ لمن لا ينمِى بحديثه إليك[(٦)] . البلادة فى

٣٥٢

---

(١) ل : « رب طلب جر » . والحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله .

(٢) المنجح : ذو النجاح ، وهو الظفر والفوز .

(٣) الفقه : العلم بالشىء والفهم له .

(٤) ما عدا ل : « العقول » .

(٥) ل : « من ترأى » .

(٦) نمى الحديث ينميه ، وأنماه ينميه أيضاً ، ونماه ينميه : بلغه تبليغاً وأذاعه .

الرجل هُجنة [١] . قلَّ مالِكٌ إلا استأثر ، وقلَّ عاجزٌ إلا تأخَّر . الإحجام عن الأُمور يورث العجز ، والإقدام عليها يُورث اجتلابَ الحظّ . سُوء الطُّعْمَةِ يفسد العِرْض [٢] ، ويُخلِق الوجه ، ويَمحَق الدِّين . الهيبةُ قرين الحرمان ، والجَسَارة قرين الظَّفر ، ومِنكَ مَن أنصفك [٣] ، وأخوك مَن عاتبك ، وَشريكُك مَن وَفَى لك [٤] ، وصَفِيُّك مَن آثرَك . أعدى الاعتِداء العُقوق . اتِّباع الشَهوة يُورث النَّدامة ، وفَوتُ الفرصة يُورث الحَسرة . جميع أركان الأدب التأنِّى للرفق . أكْرِمْ نفسَك عن كلِّ دنِيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب [٥] ، فإنك لن تجدَ [٦] بما تَبذُل من دينك ونفسك عِوَضاً . لا تُساعِد النساءَ فيملَلْنَك ، واستبقِ من نفسك بقيَّة ، فإنّهن إن يَرينك ذا اقتدارٍ [٧] خيرٌ من أن يطّلِعْن منك على انكسار . لا تُملِّك المرأةَ الشفاعةَ لغيرها ، فيميلَ من شفعتْ له عليك معها .

أى بنىَّ ، إنى قد اخترت لك الوصيَّة ، ومَحضْتك النصيحة ، وأدَّيت الحقَّ إلى الله فى تأديبك ، فلا تُغفِلنَّ الأخذَ بأحسنها ، والعملَ بها . واللهُ موفّقك .

* * *

قال الغنَوىّ : احتُضِر رجلٌ منا فصاحت ابنته ، ففتح عينيه وهو يَكيد بنفسه [٨] ، فقال :

---

(١) الهجنة : العيب . ما عدا ل ، هـ : « للرجل هجنة » .

(٢) الطعمة ، بالضم : وجه الكسب .

(٣) نظيره قوله فى أول الوصية ص ٩٣ : « ومنك من أعتبك » .

(٤) ل : « أوفى لك » .

(٥) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه المرء .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « لا تجد » .

(٧) ما عدا ل : « إن يرين أنك ذو اقتدار » .

(٨) يكيد بنفسه : يجود بها ، وهو حال النزع .

عزاءً لا أبا لَكِ إنّ شيئاً تولّى ليسَ يُرجِعُهُ الحنينُ

* * *

قال بعض الشعراء :

وما إن قَتلناهمْ بأكثَرَ منهمُ ولكنْ بأوْفى بالطِّعانِ وأكْرما

٥ المدائنيّ قال : كان يقال : إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألْحِقْه بعدوِّك .

وقال عبد الملك بن صالح : لا يكبُرَنّ عليك ظلمُ مَن ظلمك ، فإنما سعَى في مضرَّته ونفعك [1] .

وقال مُصعَب بن الزُّبير : التواضع أحد مَصايد الشَّرَف .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : إيّاك ومؤاخاةَ الأحمق ، فإنه

١٠ ربما أراد أن ينفعَك فضرّك .

وكانوا يقولون : عَشْر في عَشَرةٍ [2] هي فيهم أقبح منها في غيرهم : الضِّيق في الملوك ، والغَدر في ذوِي الأحساب ، والحاجة في العلماء ، والكذِب في القُضاة ، والغضبُ في ذوي الألباب ، والسفاهةُ في الكهول ، والمَرَض في الأطبّاء ، والاستهزاء في أهل البؤس ، والفَخْر في أهل الفاقة ، والشحُّ في الأغنياء . ٣٥٣

١٥ ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : انتهى ضُموره ، وذَبُل فريره [3] ، وظهر حَصيرُه [4] ، وتفلّقت غُرورُه [5] ، واسترخت شاكلتُه [6] . يُقبل بزُبرة الأسد [7] ، ويُدْبِر بعجُز الذئب .

* * *

---

(١) مضت في وصيته ص ٩٤ س ٥ – ٦ .

٢٠ (٢) ل : « عشرة في عشرة » . وقد مضى الخبر في (٣ : ٢٤٦) .

(٣) الفرير : موضع المجسة من معرفة الفرس ، وقيل أصلها . وفي اللسان (غيب) « وَبِلّ » .

(٤) الحصير : لحم ما بين الكتف إلى الخاصرة .

(٥) الغرور : جمع غر ، بالفتح ، وهي في الفخذين كالأخاديد بين الخصائل .

(٦) الشاكلة : الخاصرة .

٢٥ (٧) الزبرة : بالضم : الشعر المجتمع على الكاهل .

ومات ابنٌ لسليمانَ بن علىّ فَجزِعَ عليه جزعاً شديداً ، وامتنع من الطعام والشراب ، وجعل الناس يُعزُّونه فلا يَحفِل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نَزَل كتاب الله فأنتم أعلَم بفرائضه ، ومنكم كان رسول الله ﷺ فأنتم أعرفُ بسنَّته ، ولستَ ممن يُعلَّمُ مِنْ جَهْل ، ولا يُقوَّم من عِوَج ، ولكنى أعزِّيك ببيتٍ من الشعر . قال : هاته . قال :

وهوَّنَ ما ألقَى منَ الوَجدِ أنَّنى أُساكِنُهُ فى دارِهِ اليومَ أو غَدا

قال : أعدْ . فأعاد ، فقال : ياغلامُ ، الغَداء .

* * *

قال : دعا أعرابىٌّ فى طريق مكة فقال : « هل من عائدٍ بفضل ، أو مواسٍ من كَفاف ؟ » ، فأُمسِكَ عنه فقال : « اللهمَّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا فنعجِزَ ، ولا إلى الناس فنَضيع » .

وقال أبو الحسن : جاء خلفٌ الأحمر إلى حَلْقة يونس حين مات أبو جعفرٍ فقال :

* قَدْ طَرَّقَتْ ببِكرها بِنْتُ طَبَقْ (١) *

فقال له يونس : ماذا ؟ فقال :

* فذَمَّرُوها خَبَراً ضخمَ العُنق (٢) *

فقال يونس : وماذا ؟ فقال :

* مَوتُ الإمامِ فِلْقَةٌ مِن الفِلَقْ (٣) *

---

(١) الرجز فى اللسان (طبق) . وفى المخصص (١٢ : ٢٢١) :

* قد عضلت بِبَيضها أم طبق *

وطرَّقت : خرج من ولدها نصفه ثم نشب ، فيقال طرَّقت ثم خلصت . وأم طبق وبنت طبق أيضاً : حية صفراء ، سميت بذلك لترحيها وتحويها ، أو لإطباقها على من تلسعه ، أو لأن الحواء يمسكها تحت أطباق الأسفاط المجلدة . وبنت طبق تقال أيضاً للداهية .

(٢) التذمير : أن يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنينُها أم أنثى ، وذلك أنه يلمس لحيى الجنين فإن كانا غليظين كان فحلا ، وإن كانا رقيقين كان ناقة . وفى اللسان : « فذمروها وهمة » . والوهمة : الناقة الضخمة . ويكون قد ذكّر وصفها لما أضيف إليه ، كما تقول : مررت برجل حسنة العين . انظر الأشمونى فى (باب النعت) .

(٣) الفلقة ، بالكسر : الداهية ، كما فى القاموس . ولم ترد هذه الكلمة فى اللسان (فلق) .

قال أبو الحسن : أراد رجلٌ أن يكذب بلالا [١] ، فقال له يوماً : يا بلالُ ، ما سِنُّ فرسك ؟ قال : عَظْم . قال . فكيف جَريُه ؟ قال : يُحضِر ما استطاع . قال : فأين تنزِل [٢] ؟ قال : موضعاً أضَعُ فيه رِجْلى . فقال له الرّجل : لا أتعنَّتُك أبداً .

٥ قال : ودخل رجلٌ على شُريح القاضى ، يخاصم امرأةً له ، فقال : السّلامُ عليكم . قال : وعليكم . قال : إنّى رجلٌ من أهل الشام . قال : بعيد سَحيق . ٣٥٤ قال : وإنّى قدِمت إلى بلدكم هذا . قال : خَير مَقْدَم . قال : وإنّى تزوجت امرأة قال : بالرِّفاء والبنين . قال : وإنّها ولدَتْ غلاما . قال : ليَهْنِئك الفارس [٣] . قال : وقد كنتُ شَرَطتُ لها صَداقَها . قال : الشرط أمْلَك . قال وقد أردت ١٠ الخروجَ بها إلى بلدى . قال : الرجل أحقُّ بأهله . قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت .

قال : وخرج الحجّاج ذات يوم فأصحَر ، وحضَر غَداؤُه فقال : اطلبوا من يتغدَّى معى . فطلبوا فإذا أعرابىٌّ فى شَملةٍ ، فأُتِىَ به ، فقال : السّلام عليكم . قال : هلمَّ أيها الأعرابى . قال : قد دعانى مَن هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن ١٥ هو ؟ قال : دعانى الله ربِّى إلى الصَّوم فأنا صائم ! قال : وصومٌ فى مثل هذا اليوم الحارّ ! قال : صمتُ ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفِطر اليومَ وصمْ غداً . قال : ويضمنُ لى الأمير أنى أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إليه ! قال :

---

(١) بلال هذا ، هو بلال بن أبى بردة ، أمير البصرة وقاضيها . ترجم (١ : ٣٣٠ ، ٣٩٧) .

(٢) ما عدا ل : « بتنزل » .

٢٠ (٣) هذا دعاء للتفاؤل . ماعدا ل : « ليهنك » . وفى اللسان (هنأ) : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة ، وليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك ، كما تقول العامة » .

فكيف يسألني عاجلاً بآجل ليس إليه ؟ قال : إنّه طعام طيّب . قال : ما طيّبهُ خبّازك ولا طبّاخُك ! قال : فمن طيّبه ؟ قال : العافية . قال الحجاج : تالله إن رأيتُ كاليوم ! أخرِجوه .

* * *

قال أبو عَمرو : خرج صَعصعةُ بنُ صُوحانَ عائداً إلى مكّة ، فلقيه رجلٌ فقال له : يا عبد الله ، كيف تركتَ الأرض ؟ قال : عَرِيضة أريضة [1] . قال : إنّما عنيت السماء . قال : فوقَ البشَر ، ومدَى البصر . قال : سبحان الله ، إنّما أردت السحاب ! قال : تحت الخضراء ، وفوقَ الغبراء . قال : إنّما أعنى المطر . قال : عَفّى الأثر ، وملأ القُتَر [2] ، وبلّ الوَبر ، ومُطِرْنا أحيا المطَر . قال : إنسىٌّ أنت أم جنّى ؟ قال : بل إنسىٌّ ، من أمّة رجلٍ مَهدىّ ، ﷺ .

وقال بشار :

وحمِيدٍ كعَصْب البُردِ حَمَّلتُ صاحِبى إلى ملِكٍ لِلصّالحِيـنَ قَرِيـنِ [3]

وقال أيضاً :

وبِكْرٍ كنُوّارِ الرِّياضِ حدِيثُهـا تَرُوقُ بِوَجْـهٍ واضِحٍ وقَـوَامِ [4]

وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعدُ فإنّا نخبر أميرَ المؤمنين أنّه لم يصب أرضَنا وابلٌ منذ كتبتُ أخبره عن سُقيا الله إيّانا ، إلاّ ما بلَّ وجهَ الأرض : من الطَّشّ ، والرشّ ، والرّذاذ [5]

---

(١) الأريضة : المعجبة للعين .

(٢) القتر : جمع قترة ، وهى البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

(٣) سبق إنشاد البيت فى (٢ : ١٥٥) .

(٤) ومضى هذا أيضاً فى (٢ : ١٥٥) .

(٥) الطش : المطر القليل ، ونحو منه الرش والرذاذ .

حتّى دَقِعَت الأرض واقشعرَّت واغبرَّت [١] ، وثارت فى نَواحيها أعاصيرُ تذرُو دُقاق الأرض من تُرابها ، وأمسكَ الفلّاحون بأيديهم من شِدّة الأرض واعتزازها [٢] وامتناعها ، وأرضُنا أرض سريع تغيرها ، وشيكٌ تنكُّرها ، سيِّءٌ ظَنُّ أهلها عند قُحوط المطر ، حتّى أرسل الله بالقَبول يوم الجمعة [٣] ، فأثارت زِبرجاً متقطّعا متمصّرا [٤] ، ثم أعقبَتْه الشّمال يومَ السبت فطَخْطَحت عنه جَهامَه [٥] ، وألَّفتْ متقطِّعَه ، وجمعت متمصِّرَه ، حتّى انتضَدَ فاستوى ، وطَمَا وطحا ، وكان جوناً مُرثَعِنّا [٦] قريباً رواعدُه . ثم عادت عوائده بوابلٍ منهمِلٍ منسجل [٧] يردُف بعضُه بعضاً ، كلّما أردف شؤبوب أردفَتْه شآبيبُ [٨] لشدة وقعه فى العِرَاص [٩] . وكتبتُ إلى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قِطَع القُطن ، قد ملأ اليَبَاب [١٠] ، وسدَّ الشّعاب ، وسَقَى منها كلَّ ساقٍ . فالحمد لله الذى أنزل غيثَه ، ونشر رحمَتَه من بعد ما قَنطوا ، وهو الولىُّ الحميد . والسلام .

* * *

---

(١) دقعت : صارت لا نبات بها . اقشعرت الأرض من المحل : تقبضت وتجمعت .

(٢) اعتزاز الأرض مما لم يرد فى المعاجم المتداولة . وفيها العزاز ، كسحاب ، وهو ما صلب من الأرض واشتد وخشن . ما عدا ل : « واعترازها » . والذى فى المعاجم من هذه المادة « الاستعراز » ، وهو اشتداد الشىء وغلظه .

(٣) القَبول : ريح الصبا ، وهى الريح الشرقية ، ويقابلها الدبور .

(٤) الزبرج : السحاب الرقيق الخفيف . المتمصر : المتفرق المتقطع .

(٥) طحطحته : فرّقته وبددته . والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، والذى قد هراق ماءه .

(٦) كان هنا بمعنى صار . المرثعن : المسترسل السائل .

(٧) المنسجل : المنصب . قال ذو الرمة :

وأردفت الذراع لها بعين سَجوم العين فانسجل انسجالا

(٨) الشؤبوب : دفعة من دفعات المطر .

(٩) العراص : جمع عرصة ، وهى كل جوبة منفتقة ليس فيها بناء . ماعدا هـ : « فى العراض » جمع عرض بالضم ، وهى الناحية والشق .

(١٠) اليباب : الخالى الذى لا شىء به .

وهذا أبقاك الله آخر ما ألَّفناه من كتاب « البيان والتبيُّين [١] » ، ونرجو أن نكون غير مقصِّرين فيما اخترناه من صَنعته ، وأردناه من تأليفه . فإن وَقَع على الحال التى أردنا ، وبالمنزلة التى أمَّلنا ، فذلك بتوفيقِ الله وحُسن تأييده ، وإن وقَع بخلافهَا فما قصَّرنا فى الاجتهاد ، ولكنْ حُرِمْنا التوفيق [٢] . والله سبحانه وتعالى أعلم [٣] .

(خاتمة نسخة ل)

كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره ، بفضل الله وعونه ، والصلاة على سيدنا محمد وآله ، فى الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وعلقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى .

(خاتمة نسخة هـ)

تم الكتاب والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

وذلك عشى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة. فى آخر السفر الذى نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب : كتب هذا السفر وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيين عن نسخة أبى جعفر البغدادى ، وهى النسخة الكاملة ، وتم بعون الله وتأييده فى غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلثمائة .

أكملت جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ الأفضل الأحصل أبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى أعزه الله وأكرمه وهو يمسك علىّ كتابه ، وهو الأصل الذى كتب من نسخة أبى جعفر البغدادى ،فصحّ بحمد الله وتوفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً ، وذلك ببيَّنة حرسها الله ، غرة ذى الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

تم الجزء الرابع من كتاب البيان والتبيين بتقسيم محققه وشارحه . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « والتبيين » .

(٢) فى حواشى هـ بخط حديث : « كيف خفى على الجاحظ ختمه كتابه بقوله : حرمنا التوفيق . نسأل الله تعالى المعونة والعناية والتوفيق فى كل أمورنا » .

(٣) هذه الجملة من ل فقط .



فهرس الأبواب



١ – فهرس البيان والبلاغة

* * *

٢ - فهرس الخطب

* * *

فهرس الرسائل

• • •

٤ – فهرس الوصايا

* * *

٥ – فهرس الأشعار

(أ)

(ب)

(ت)

(١) النسبة من المؤتلف والمختلف ١٤ .

(ث)

(ج)

(ح)

(١) النسبة من أمالى الزجاجى ٦ . وانظر حماسة ابن الشجرى ١٣٨ .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء	الصفحة
شهرا	طويل	بشار	١	٢٤ ، ٦٨
شزرا	»	البعيث	١	١١ : ٣/٣٧٤
اليسرى	»	الجارود بن أبي سبرة	١	٣٣٠
الخمرا	»	رماح بن ميادة	٣	٣٤٩
عطرا	»	—	١	١٧٦
وعنبرا	»	بشار	٣	١١٢
تدبرا	»	جرير	١	١٩٨،٢٤٦/٢: ٣٤٧
شمّرا	»	(حاتم الطائي)	٤	٦٠
وأدبرا	»	أبو حُزابة	٣	٣٢٩
أحمرا	»	(الحكم الخضري)	٢	١٣٦
فأقصرا	»	زيادة بن زيد	٣	٢٤٤
المزعفرا	»	المخبل السعدي	٣	٩٧
تيسرا	»	—	١	٤١
لتذكرا	»	—	٢	١٨٧
يتذكرا	»	—	٣	٢١٩
الحجّرا	بسيط	جرير	٤	٦٦
القدرا	»	—	٢	٣٥٠
أسحارا	»	—	٣	٢٠٢
والشعره	»	أبو قردودة	١	٢٢٣ ، ٣٤٩
طُرّا	وافر	—	١	١٩٩
اقورارا	»	شَمعلة بن أخضر	٣	١٠٤
عارا	»	—	١	١٧٩
المغيره	»	أبو الأسود	١	١٩٦
زهرا	مجزوء الكامل	بشار	١	٢٨٦
الزوّارا	كامل	—	١	١٧٨

(١) وقيل لعبد ربه السلمى ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى ، كما فى اللسان (عصا) .

حاضره	طويل	المقشعّر	٣ : ٢٤٥
تاجره	»	ابن ميادة	١ : ٢٢٢
وافره	»	نصيب الأسود	٣ : ٤/٧٠ : ٩١
كبارها	»	الفرزدق	٣ : ٢٠٨
سعيرها	»	إياس بن قتادة	٣ : ٢١٨
نورها	»	سلم الخاسر	٣ : ٢٥١
يجيرها	»	الفرزدق	٣ : ٢٥٩
نذيرها	»	كثير	٣ : ٢٤٥
وعورها	»	(مضرس بن رِبعى)	٣ : ١٨٦
أمورها	»	—	١ : ١٢٢
ذكورها	»	—	١ : ١٥٦
يَضيرها	»	—	١ : ٣/٤٠٥ :٢٦٩
تنتشر	بسيط	ابن أحمر	٢ : ٢٢٤
الحجر	»	(»)	٣ : ٧٥
الإبر	»	الأخطل	١ : ١٥٨
العِذَر	»	الحارث بن حلزة	٢ : ١٦
الكبر	»	(العتبى)	٣ : ٣٢٤
والمطر	»	الفرزدق	٣ : ٧٨
النار	»	بشار	١ : ١٦
الجار	»	الخنساء	٢ : ٣٥٨
وإدبار	»	»	٣ : ٢٠١
محفار	»	عبّدة بن الطبيب	١ : ١٢٢
وإكثار	»	—	١ : ٢٠٣
وإفطار	»	—	٣ : ٣٢٢

(*) صوابه « المتنخل »

(ك)

(ل)

(ى)

(الألف اللينة)

(شعر فارسى)

° ° °

٦ – فهرس الأرجاز

(*) رواية فى السابقة .

* * *

٧ – فهرس الأمثال

(١) وفى ٣ : ٢٩٤ : « أشبه امرأ » .

* * *

٨ - فهرس اللغة

ينقسم هذا الفهرس إلى قسمين رئيسيين :

الأول : ما فسره الجاحظ من اللغة العربية ، وقد ألحق به ما فسره من اللغة الفارسية .

الثانى : ما فسره محقق الكتاب ، وألحق به أيضاً ما فسره من اللغة الفارسية .

وهذا القسم الأخير قد تضمن كثيراً من الألفاظ التى لم تنص عليها معجمات اللغة المتداولة ، وقد أشير إليها بوضع هذه العلامة بعدها (-) .

١ - القسم الأول وهو ما فسَّره الجاحظ

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

ملحق فهرس اللغة الأول

ب – القسم الثانى ، وهو ما فسره محقق الكتاب

(أ)

(ت)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ض)

(غ)

(ك)

(ن)

(ى)

* * *

ملحق القسم الثانى من فهرس اللغة

* * *

٩ – فهرس الأعلام

(*) ما وضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط . والأرقام السُّود تبين مواضع التراجم .

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

(١) ذكر المرصفى فى رغبة الآمل ١ : ١٠٦ أنه جندب بن عفيف ، وأما ابن أخيه فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف .

(١) انظر الاشتقاق ١٠٤ .

(١) تكملة النسب من تهذيب التهذيب (٥ : ٢٥٠) .

(و)

• • •

١٠ - فهرس القبائل والأمم والطوائف

(ن)

* * *

١١ - فهرس البلدان والمواضع والمياه

° ° °

١٢ – فهرس أيام العرب

° ° °

١٣ - فهرس الحضارة

(ويشمل نظم العرب الاجتماعية والسياسية والمالية والخلقية والتعليمية)

* * *

١٤ - فهرس الكتب (*)

(الكتب التى ذكرها الجاحظ فى أثناء كتابه)

* * *

(*) ما قرن بنجم فهو من تأليف الجاحظ .

١٥ - فهرس مراجع الشرح والتحقيق (*)

(*) ما وضع بإزائه نقط فهو مما تكرر ذكره فى الحواشى أكثر من مائة مرة ، لذلك أغفلت ذكر مواضعه .

إعلام الناس ، للإتليدى (الكاستلية ١٢٨٠) ٤ : ٥١
الأغانى ، لأبى الفرج (التقدم ١٣٢٣) ... ...
الاقتضاب ، لابن السِّيد (بيروت ١٩٠١ م) ١ : ١٩٠ / ٣ : ٢٥٦ ، ٣٢١
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير (بيروت ١٩٠٨ م) ٢ : ١٠٣ / ٣ : ٤٧ ، ٩٣
أمالى الزجاجى بتحقيق عبد السلام هارون (المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٢) ١ : ٩ ، ١٧١ / ٢ : ٨٠ ، ١٢٣ ، ٢٤٣ / ٣ : ٣٦ ، ٦٢ ، ١٠٣ ، ٢٤٢ / ٤ : ٦٦
أمالى ابن الشجرى (حيدر أباد ١٣٤٩) ٢ : ٢٨١ / ٣ : ٣١٦ ، ٣١٧
أمالى القالى (دار الكتب ١٣٤٤) ١ : ٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٣١٢ ، ٣٦٢ / ٢ : ١١ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٦٧ / ٣ : ٣٧ ، ٥٢ ، ١٠٨ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ – ٣٤٤ / ٤ : ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٦
أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥) ١ : ١٨٩ ، ٢٢٨ ، ٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ / ٢ : ١٤٧ ، ١٨٣ ، ١٨٧ / ٣ : ١٢٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى (مصورة دار الكتب) ١ : ١٢٩ / ٤ : ٢٣
إنباه الرواة على إنباه النحاة ، للقفطى (طبع دار الكتب) ١ : ٢٩٥
الأنساب ، للسمعانى (ليدن ١٩١٢ م) ١ : ٦ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٩٩ / ٢ : ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ / ٣ : ١٢٩ ، ١٦٠ ، ٢٨٨ / ٤ : ٥ ، ٨١
الإنصاف ، لابن الأنبارى (الاستقامة ١٣٤٦) ١ : ١٨١ / ٢ : ٢٤٥ / ، ٣ : ١٢٣ / ٤ : ٣٨
أوضح المسالك ، لابن هشام (السعادة ١٣٦٨) ٣ : ١٥
أيمان العرب ، النجيرمى (السلفية ١٣٤٣) ٣ : ٧ ، ٨
البحر المحيط ، لأبى حيان (السعادة ١٣٢٨) ١ : ٨ ، ١٨٤ ، ١٨٧ / ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٦
البخلاء ، للجاحظ (الساسى ١٣٢٣) ١ : ٩٣ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢٥٩ / ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٩ / ٣ : ٧٩ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١١ / ٤ : ١٩
البداية والنهاية ، لابن كثير (السعادة ١٣٢٨) ٢ : ٢٥٢ / ٣ : ٣٥٧
البغال ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، فى رسائل الجاحظ (الخانجى)
بغية الوعاة ، للسيوطى (السعادة ١٣٢٦) ١ : ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ / ٢ : ١٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٤ / ٤ : ٢٣
بقية أشعار الهذليين (برلين ١٨٨٤ م) ١ : ٢١٣
بلاغات النساء ، لابن طيفور (القاهرة ١٣٢٦) ١ : ١٠٩ ، ٣١٢ / ٤ : ٧٢
بلوغ الأرب ، للآلوسى (الرحمانية ١٣٤٣) ١ : ٣٩٠ / ٣ : ١٢٣ ، ٣٣٥

تاج العروس ، للزَّبيدى (القاهرة ١٣٠٦) ١ : ٣٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٩ / ٢ : ١٠٢ / ٣ : ١٠٧ ، ٣٤٦ / ٤ : ٦٦
تاريخ الإسلام ، للذهبى (مكتبة القدسى ١٣٦٧) ١ : ٣٠٤
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى (القاهرة ١٣٤٩) ... ...
تاريخ دمشق ، لابن عساكر (مخطوطة المكتبة التيمورية) ٢ : ٢٥ ، ٢٠٤ / ٣ : ١٩١
تاريخ الطبرى (الحسينية ١٣٢٦) ... ...
تاريخ اليعقوبى (النجف ١٣٥٨) ٢ : ١٦٧ ، ٢٠٥
تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة (كردستان ١٣٢٦) ١ : ١٠٥ / ٣ : ٣٧٨
تذكرة الحفاظ ، للذهبى (حيدر أباد ١٣٣٣) ١ : ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ / ٢ : ٢٣ – ٣٨ ، ٤٨ ، ١٧٣ ، ٢٢٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٩ / ٣ : ٢٨٣
تذكرة داود الأنطاكى (القاهرة بدون تاريخ) ١ : ٢٨ / ٢ : ٢١٤ / ٣ : ٦٨ ، ٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٤٥
التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد (الأزهرية ١٣٤٤) ٢ : ٢٤٥
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى (الأزهرية ١٣٢٨) ٢ : ٣٥١
التعازى والمراثى للمبرِّد (مخطوطة الإسكوريال) ٣ : ١٦٤
تفسير الطبرى (بولاق ١٣٣٠) ٣ : ٩٧
تفسير القرطبى (طبع دار الكتب المصرية) ٣ : ٢٠٢
تقريب التهذيب ، لابن حجر (الهند ١٣٢٠) ١ : ١٧٣ ، ٣٤٣ / ٢ : ٣٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٠ / ٣ : ١٦٠ ، ١٩٢
التمثيل والمحاضرة ، للثعالبى ، بتحقيق عبد الفتاح الحلو (الحلبى ١٣٨١) ٣ : ١٦٥ ، ٢٧٨
التنبيه والإشراف ، للمسعودى (الصاوى ١٣٥٧) ١ : ٦٤ ، ١٠٧ ، ٢٠٥ ، ٣٥٩ ٤١٠ / ٣ : ١١٤ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٦ ، ٣٦٧
التنبيه على أمالى القالى ، للبكرى (دار الكتب ١٣٤٤) ٢ : ٩٧ / ٣ : ١٠٦ ، ١٠٧
تهذيب إصلاح المنطق للتبريزى (السعادة ١٣٢٥) ٣ : ٢٥٠
تهذيب التهذيب ، لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥) ... ...
التيجان ، لوهب بن منبه (حيدر آباد ١٣٤٧) ١ : ١٦٨ ، ١٨٤
ثمار القلوب ، للثعالبى (الظاهر ١٣٢٦) ١ : ٤٠ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ / ٢ : ١٩ ، ٣٨ ، ١٠٢ ، ٣١٩ / ٣ : ٤٤ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٧٣ ، ٢٠٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ / ٤ : ٨٢ ، ٨٨
جامع بيان العلم ، لابن عبد البر (الموسوعات ١٣٢٠) ٢ : ١٤٦
الجامع الصغير ، للسيوطى (حجازى ١٣٥٢) ١ : ٦٣ / ٢ : ٣٦ / ٣ : ٥٩ ، ٢٧٢

الجمهرة ، لابن دريد (حيدر آباد ١٣٥١) ١ : ١٧ ، ٣٠ ، ١٦٠ / ٣ : ١٨٩ ، ٣٤٢
جمهرة أشعار العرب (بولاق ١٣٠٨) ١ : ١٧٦ / ٣ : ٧٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
جمهرة الأمثال ، للعسكرى (بمباى ١٣٠٦) ١ : ١٧ ، ١٥٠ / ٣ : ١٠٨ ، ٣٥٩
جمهرة الأنساب ، لابن حزم (المعارف ١٩٦٢ م) ١ : ٢٠٥ ، ٢٩٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ / ٢ : ٦٥ ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ٢٣٦ / ٣ : ٢٤٧ / ٤ : ٥١
جمهرة خطب العرب ، للأستاذ أحمد زكى صفوت (الحلبى ١٣٥٢) ٤ : ٦٩
جنى الجنتين ، للمحبى (الترقى بدمشق ١٣٤٨) ١ : ٣٤٨ / ٣ : ٧٣ / ٤ : ١٣
الحنين إلى الأوطان للجاحظ (رسائل الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون) ٢ : ٧١
حياة الحيوان ، للدميرى (صبيح بالقاهرة) ٢ : ١٠٩ ، ٢٦٧ / ٣ : ١٦٢
الحيوان ، للجاحظ (من مكتبة الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون) ....
خزانة الأدب ، للبغدادى (بولاق ١٢٩٩) ....
الخصائص ، لابن جنى (الهلال ١٣٣٢) ٣ : ٢١٣
خطبة واصل بن عطاء (نوادر المخطوطات) ١ : ٢٤
خلاصة تذهيب الكمال ، للخزرجى (الخيرية ١٣٢٢) ٣ : ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ / ٤ : ٧٢
الخيل ، لابن الأعرابى (ليدن ١٩٢٨ م) ٣ : ٢٢ ، ١٠١ ، ٣١٧
الخيل ، لابن الكلبى (ليدن ١٩٢٨ م) ١ : ٢٦٧ / ٣ : ٢٢
دلائل الإعجاز ، للجرجانى (المنار ١٣٣١) ١ : ٢٢٣
ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م) ١ : ١٥٨ ، ٢١٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ / ٢ : ١٨٢ / ٤ : ٣٧
« أبى الأسود الدؤلى (مخطوطة دار الكتب المصرية) ١ : ١٩٨
« الأعشى (فينا ١٩٢٧ م) ١ : ١٢٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ / ٢ : ١٨٨ / ٣ : ١٥ ، ٢٥٤
ديوان الأفوه (نسخة الشنقيطى بدار الكتب) ١ : ١٩٧
« امرئ القيس (هندية ١٣٢٤) ١ : ١٨٩ ، ٢٣٢ / ٢ : ٣١٢ ، ٣٥٣ / ٣ : ٨٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦١
ديوان أوس بن حجر (فينا ١٨٩٢ م) ١ : ١٨٠ / ٣ : ٧ ، ٢١ ، ٧١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٥٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ / ٤ : ٤٠ ، ٦٨
ديوان بشر بن أبى خازم ، تحقيق عزة حسن (دمشق ١٣٧٩) ٣ : ٢٠
« أبى تمام (بيروت ١٣٢٣) ٢ : ١٨٧ / ٣ : ٦٧ ، ٢٦٣ ، ٣١١ – ٣١٣ / ٤ : ٢٠ ، ٨٠
« جران العَوْد (دار الكتب ١٣٥٠) ٤ : ٤٠
« جرير (الصاوى) ١ : ١٦٧ ، ١٩٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ / ٢ : ١٨٩ ،

مجموع خمسة دواوين = ديوان النابغة ، وعروة بن الورد ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق رواية الأصمعي (الوهبية ١٢٩٣)
مجموعة أشعار الهذليين (ليبسك ١٩٣٣ م) ١ : ١٧
المحاسن والمساوى ، للبيهقي (السعادة ١٣٢٥) ١ : ١٥٠ ، ٢٦٠ / ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣٢
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهاني (الشرقية ١٣٢٦) ١ : ٢٢٢ ، ٢٣٠ / ٢ : ١٦٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٦٧ / ٣ : ٤٣ ، ٢٧٨ ، ٣٣٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤
المحبر ، لابن حبيب (حيدر آباد ١٣٦١) ١ : ٣٥٧ / ٣ : ٣٠
المختار من شعر بشار ، للخالديين (الاعتماد ١٣٥٣) ٣ : ١٢٣ / ٤ : ٤٦ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٣
مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب (جوتنجن ١٨٥٠ م) ١ : ١٩٩ ، ٣١٧ / ٣ : ٢٤٩ / ٤ : ٥
المخصص ، لابن سيده (بولاق ١٣١٨) ١ : ٢١ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ / ٢ : ١٥٨ ، ١٦٢ / ٣ : ١٨ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ / ٤ : ٩٧
مخطوطات الموصل ، لداود جلبي (الفرات ببغداد ١٩٢٧ م) ١ : ٢٤
مروج الذهب ، للمسعودي (السعادة ١٣٦٧) ١ : ٨١ ، ٢٣٢ ، ٢٨٩ / ٣ : ١٧٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ / ٤ : ١٧
المزهر ، للسيوطي (الحلبي ١٣٦١) ١ : ١٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ / ٢ : ١٦٤ / ٣ ، ٢١٣ ، ٣١٧
المستطرف ، للأبشيهي (المعاهد ١٣٥٤) ١ : ٨١ / ٢٥٧ ، ٣٠٤
المشتبه ، للذهبي (ليدن ١٨٨١ م) ٢ : ١٠٢
المعارف ، لابن قتيبة (الإسلامية ١٣٥٣) ... ...
معاني الشعر ، للأشناندانى (الترقي بدمشق ١٣٤٠) ٢ : ١٦٢
معاهد التنصيص ، للعباسي (البهية ١٣١٦) ١ : ٦٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ ، ٤٠٩ / ٣ : ٣٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ٢٥٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٧٠ / ٤ : ١٧
المعتمد ، لابن رسولا الغساني (الميمنية ١٣٢٧) ١ : ٢٠ ، ٢٨
معجم البلدان ، لياقوت (السعادة ١٣٢٣) ... ...
معجم الشعراء ، للمرزباني (القدسي ١٣٥٤) ١ : ٣ ، ١٥ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٧١ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ / ٢ : ٧٨ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٧٨ ، ٣٦٢ / ٣ : ٢٠ ، ٤٠ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ – ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ / ٤ : ٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٣ ، ٩٠
المعجم الفارسي الإنجليزي لاستينجاس (لندن ١٩٣٠ م) ١ : ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ / ٢ : ١٤٩ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٣١٤ ، ٣٤٢ / ٣ : ١٣ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٩٠ – ٩٣ ،

١١٣ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٢١ ، ٢٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ / ٤ : ١٢

معجم الفرق الإسلامية ، لعبد السلام محمد هارون (مخطوط لم يطبع) ١ : ٤١ ، ١٠٥ / ٢ : ٣٠٧ / ٣ : ٢٣

معجم ما استعجم ، للبكرى (لجنة التأليف ١٣٦٤) ١ : ١٨٠ ، ١٩٠ / ٢ : ٩٨ ، ١٩٦ ،

المعرب ، للجواليقى (دار الكتب) ١ : ٢٨ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ٣١٥ / ٢ : ٤٤ ، ٢١٩ / ٣ : ١٧ ، ٥١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٥٦

مغنى اللبيب ، لابن هشام (التقدم ١٣٤٨) ٢ : ٢٤٥ / ٣ : ١٢٥ ، ١٥٠ ، ٣٤٤

مفاتيح العلوم ، للخوارزمى (محمد منير ١٣٤٢) ١ : ١٧ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٣ / ٣ : ٣٥٧

المفضليات ، للضبى (المعارف ١٣٦١) ١ : ٩ ، ١١ ، ١١٩ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٧٥ ، ٣٧١ / ٢ : ١١ ، ٤٢ ، ١٩٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ / ٣ : ٢٢ ، ٤٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ٢٢٤ ، ٣٢٩ / ٤ : ٨ : ٤٥

المقابسات ، لأبى حيان (الرحمانية ١٣٤٧) ٢ : ٢٠

مقاتل الطالبيين ، لأبى الفرج الأصبهانى (عيسى الحلبى ١٣٦٨) ٣ : ٣٥٦ ، ٣٥٧

مقاييس اللغة ، لابن فارس ، بتحقيق شارح الحيوان والبيان (عيسى الحلبى ١٣٦٦) ١ : ١٩٠ ، ٣١٩ / ٢ : ١٢ ، ١٩ ، ١٣٢ ، ١٨٦ ، ٣٠٨ / ٣ : ٢٥ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٧١ ، ٧٦ ، ١٤٨ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٤٢ / ٤ : ٤٤ ، ٦٦

المقصور والممدود ، لابن ولاد (السعادة ١٣٢٦) ٣ : ١٢٣ / ٤ : ٥٥

الملل والنّحل ، للشهرستانى (الأدبية ١٣١٧) ١ : ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ / ٣ : ١٣٠ ، ٣٥٧ / ٤ : ٣٥

من نسب إلى أمه من الشعراء ، لابن حبيب (نشره محقق البيان فى مجلة المقطف مايو سنة ١٩٤٥ ونشره مرة ثانية فى نوادر المخطوطات ، المجموعة الأولى) ١ : ٢٢٩

منتهى المقال ، لأبى محمد بن إسماعيل (إيران ١٢٢٠) ١ : ١١٨ ، ٣٦١

المواقف ، للعضد ، بشرح السيد (بولاق ١٢٦٦) ١ : ١٧ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٩١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ / ٣ : ١٣٠ ، ٣٥٧ / ٤ : ٢٥

المؤتلف والمختلف ، للآمدى (القدسى ١٣٥٤) ١ : ١٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١٠٨ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٩ / ٢ : ١٠ ، ١١ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١٦٩ ، ١٨٥ ، ٢٧٥ / ٣ : ١٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٧٦ ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ / ٤ : ٨ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٥

الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣) ١ : ١٢٤ ، ١٦٤ ، ١٨٨ / ٢ : ٢٦٧ ، ٢٩٥ / ٣ : ٧٥ ، ٢٤٤

الميسر والأزلام ، لعبد السلام هارون (دار الفكر ١٩٥٣) ٣ : ١٠٤

النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى (دار الكتب ١٣٤٨) ٣ : ١٦٤

نزهة الألباء للأنبارى (القاهرة ١٢٩٤) ٢ : ١٦٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٢

نسب قريش ، للزُّبيرى (دار المعارف ١٩٥١ م) ٣ : ٣٠

النقائض ، رواية أبى عبيدة (ليدن ١٩٠٥ م) ١ : ١٢٧ ، ١٦٤ ، ٣٠٠ ، ٣٦٢ ، ٣٨٩ / ٢ : ٢٦٧ / ٣ : ٣٤٣

نقد الشعر ، لقدامة (الجوانب ١٣٠٢) ١ : ١٢٤

نَكْت الهميان ، للصفدى (القاهرة ١٩١٠ م) ١ : ٣١ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٣١٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٢ / ٢ : ٣٢٢ – ٣٢٤ / ٣ : ١١ ، ٦٢ ، ١٢٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٢

نهاية الأرب ، للنويرى (دار الكتب ١٣٤٢) ١ : ٢٠٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٣٢٥ / ٢ : ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ٣٠٢ / ٣ : ١٤٤ ، ١٨٩ ، ٢٤٤

نهج البلاغة ، للشريف الرضى (الميمنية ١٣٠٦) ٢ : ٥٢ – ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ / ٣ : ٢٢٢

النوادر ، لأبى زيد (بيروت ١٨٩٤ م) ١ : ٥٧ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ / ٣ : ٢٤٩

النوادر ، لأبى على القالى (دار الكتب ١٣٤٤) ٢ : ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ / ٣ : ٣٠٦

نوادر المخطوطات ، لعبد السلام محمد هارون (لجنة التأليف ١٣٧٤) ١ : ٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٣٣١

الهاشميات ، للكميت (شركة التمدن ١٣٣٠) ١ : ١٩٨ ، ٢٨٢

هِبة الأيام ، للبديعى (العلوم ١٣٥٢) ٤ : ٨٠

همع الهوامع ، للسيوطى (السعادة ١٣٢٧) ١ : ١٤٩ ، ١٦٢ ، ٢٩٣ / ٢ : ٢٤٥ / ٣ : ١٥ ، ١٠٦ ، ٢٣٥ ، ٣١٠ / ٤ : ٧٩

الوزراء والكتاب ، للجهشيارى (الحلبى ١٣٥٧) ١ : ١٤١ ، ١٩٣ ، ٣١٨ ، ٣٨٩ ، ٣٤٤ / ٢ : ٢٥٥ / ٣ : ٢١٦ ، ٣٦٧ / ٤ : ٥٦

الوساطة ، للجرجانى (صيدا ١٣٣١) ٢ : ٢١٥ ، ٣٤٥ / ٣ : ٩٤ / ٤ : ٥٣

وفيات الأعيان ، لابن خلكان (الميمنية ١٣١٠) ... ...

وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، بتحقيق شارح البيان (عيسى الحلبى ١٣٦٥) ١ ١١٨ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠ / ٢ : ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ / ٣ : ١٠٨ / ٤ : ٦٠ ، ٧١

٥ ٥ ٥

الفهرس السادس عشر
فهرس الفهارس

تفسير بعض الإشارات إلى المراجع

ابن الأثير = الكامل
أدى شير = الألفاظ الفارسية
استينجاس = المعجم الفارسى الإنجليزى
ابن أبى أصيبعة = عيون الأنباء
أمالى ثعلب = مجالس ثعلب
الأمثال = مجمع الأمثال
الجهشيارى = الوزراء والكتاب
ابن أبى الحديد = شرح نهج البلاغة
ابن سلّام = طبقات الشعراء
السمعانى = الأنساب

الطبرى = تاريخ الطبرى
العينى = شرح شواهد شروح الألفية
القفطى = إخبار العلماء
اللآلئ = سمط اللآلئ
المرزبانى = معجم الشعراء
المعمرين = كتاب المعمرين
الميدانى = مجمع الأمثال
نسخة الشنقيطى من الهذليين = شرح ديوان الهذليين

مؤلفات ومحققات أخرى للمحقق

تطلب من مكتبة الخانجى بالقاهرة

مجلد	الكتاب	
١	تحقيق النصوص ونشرها (أول كتاب عربى فى هذا الفن)	
٢	معجم شواهد العربية	
١	تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب	
١	الأساليب الإنشائية فى النحو العربى (بحث مبتكر)	
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى اجتماعى أدبى لغوى)	
١	قواعد الإملاء	
١	حول ديوان البحترى .	
١	فهارس المخصص لابن سيدة	
١	فهارس معجم تهذيب اللغة	
١٠	الألف المختارة من صحيح البخارى	اختيار وشرح وتخريج
٨	الحيوان ، للجاحظ	شرح وتحقيق
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
٤	رسائل الجاحظ (تشتمل على ٤٥ كتابا ورسالة)	» »
١	البرصان للجاحظ	» »
١	الاشتقاق ، لابن دريد	» »
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٤	شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم	» »
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١	أمالى الزجاجى	» »
١	المصون ؛ لأبى أحمد العسكرى	» »
١	مجالس العلماء ، للزجاجى	» »
٥	كتاب سيبويه	» »
١١	خزانة الأدب ، للبغدادى	» »
٢	نوادر المخطوطات (تشتمل على ٢٥ كتاباً ورسالة)	» »
١	تهذيب سيرة ابن هشام	—
٢	تهذيب كتاب الحيوان	—
٢	تهذيب إحياء علوم الدين	
١	المفضليات (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر)	شرح وتحقيق
١	الأصمعيات (» » » » »)	» »
١	إصلاح المنطق (» » » » »)	» »

مجلد			
١	تعريف القدماء	(بالاشتراك مع لجنة أبي العلاء)	شرح وتحقيق
٥	شروح سقط الزند	(» » » » » »)	» »
٢	تهذيب اللغة ، للأزهرى	(الجزء الأول والتاسع)	» »
١	الأغانى ، لأبي الفرج الأصبهانى	(الجزء الخامس عشر)	» »
٣	تهذيب الصحاح ، للزنجانى	(بالاشتراك مع أحمد عطار)	» »
٦	صحاح الجوهرى	(بالاشتراك مع أحمد عطار)	» »

★ ★ ★